الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله رحمة للعالمين. أما بعد:

فقد شهد القرن العشرين بعد نهاية المملكة العثمانية بروز جماعات دينية « مسيّسة» التوجه ترى في دخول معترك السياسة أملاً في النهضة بالأمة والعودة بها الى ما كانت عليه من عز وقيادة. وقدم كل من هذه الأحزاب عملاً وطرح منهجاً كان لا بد من دراسته لما فيه خير الأمة.

ومن هذه الجماعات « حزب التحرير» وهو حزب يحض المسلمين على العمل لاستعادة الخلافة التي سقطت في نظر الحزب منذ بداية هذا القرن ومنذ ذلك الوقت تراجعت الأمة وفقدت كيانها وهيبتها بين الأمم.

غير أن هذه الحركات تجاهلت تراجع الأمة في دينها والذي بسببه تراجعت في دنياها وفقدت من القوة والأرض والسؤدد والكرامة بقدر ما فقدت من دينها. وتخلفت عن الدور الحضاري كنتيجة طبيعية لتخلفها عن الدين، وأكمل الكفار طريق العلم الذي وقفت عنده هذه الأمة، وغدا ضعفها وتخلفها فتنة لأمم الكفر الذين وظفوا تقدمهم العلمي لصالح دينهم وجعلوه علامة على صحته.

وتأصلت هذه الحركات على أصول الحماس والعاطفة. وتقلد رايتها أشخاص تعلموا الرغبة والحماس ولم يتعلموا العلم، فتخبطوا وتخبط من ورائهم من تبعهم، واستفاد عدو المسلمين من هذا التخبط وهذه العشوائية. وغلب عليها اعتماد وسائل مرتجلة آلت بالمسلمين الى زيادة ضعف ومنحت عدو المسلمين الذريعة وراء الذريعة.

وصار العمل الدعوي مرهونا موقوفا تعطله المواقف السياسية فلا دعوة حتى تعود الأرض وحتى يعود الحكم! ولكن لم تسترد الأرض ولم تسترد الخلافة، ومات كثيرون على ملل الكفر، وتحملت الأمة إثم تركهم بلا دعوة وخسر الاسلام أعداداً هائلة ممن ماتوا على غيره من الملل.

ولا يجوز تعطيل الدعوة لأي سبب كان سياسياً أو غيره، فلو كان شعار الأرض أقدس من شعار الدعوة لما خرج النبي من مكة وأمر بالخروج منها. ولا يجوز أن تكون مشكلة أرض سببا في تعطيل الدعوة. فبالدعوة انقلب رجال من أعداء لهذا الدين الى أنصار له بعد دعوتهم كما في غزوة الخندق، وبدعوة مصعب اعتنق أهل المدينة الاسلام. فعامل الدعوة له أكبر الأثر على تغيير سياسة الأمة وخروج من المآزق السياسية التي نعاني منها ولكن السياسيين لا يولون هذا العامل حقه.

ولننظر الى الدول الغربية التي تدعي أنها لا تبالي بالدين كيف تدعم النشاط التبشيري وتخصص له الميزانيات الضخمة: ليس لوجه الله وإنما لعلمها بأن الدعوة الى النصرانية إنما تمهد لها الطريق لتوسيع رقعتها، وكذلك يعتني الروافض بالدعوة كثيراً وينفقون عليها الأموال لعلمهم أن في الدعوة الى مذهبهم مكاسب سياسية، أما سياسيونا من الاسلاميين فلا وجود للدعوة الحق مكان في برنامجهم السياسي.

الغزو الثقافي ليس جديداً

ومن الأمثلة الدالة على عدم كفاءة هؤلاء في معاينة الواقع ما تراه في كلامهم من كثرة الحديث عن الغزو الثقافي، والتذكير بمؤامرات (دنلوب وزويمر) اللذين لعبا دوراً كبيراً في تبديل المناهج الدراسية الاسلامية في الدول العربية بمناهج علمانية.

التصوف وعلم الكلام من الغزو الثقافي

ولكن فات هؤلاء الكلام على حقيقة أهم منها وهي أن أمتنا قد تعرضت لأبشع غزو ثقافي منذ قرابة الألف ومئتي سنة حين دخل علم الكلام في أصل ديننا ولم يتخلص المسلمون منه حتى اليوم، حتى صار علم الكلام هو المعنى المرادف لعلم التوحيد. ثم دخل التصوف الفلسفي اليوناني تحت ستار الزهد والتوكل والمحبة، فصرت اذا أردت تعلم أصول الدين وعلوم العقيدة فلا بد من تعلم علم الكلام، واذا طلبت الزهد ومحبة الله لزمك تعلم علم التصوف. وعن طريقهما تسربت الى الاسلام آلاف البدع.

وامتزج هذان المصدران الأجنبيان بمناهج التدريس ليس في كتب التعليم العادي فحسب، وانما في الكليات والجامعات الاسلامية التي يتخرج منها المشايخ والدعاة. وتخرج غالب الدعاة على هذه المناهج المسمومة وصاروا يدافعون عما درسوه ويبررون هذا السم الذي تجرعوه، وصاروا يرمون المنكر عليهم بشتى الاتهامات حتى غلب هذا المنكر من بدع العقائد وبدع السلوك على هذه الأمة وصار المصلح يدخل المساجد ويحوقل مما يراه ويخاف إنكاره.

أردت بذلك بيان أن من لم يشخص الداء لن يمكنه وصف الدواء. ولكن أكثر الحركات الاسلامية لا تتحدث عن ضرورة تشخيص الداء الواقع بالأمة ولذلك لم يعطوا دواء حقيقيا وانما وصفوا أدوية لا علاقة لها بنوع المرض الذي أصاب الأمة. وتوارث العلماء والعوام هذين المنهجين وانتشرت بدع العقائد والعبادات عبر علم الكلام وفلسفة التصوف.

فهذا غزو ثقافي لا يكاد يتحدث عنه من يدعون للخلافة بل يجهلونه ويجهلون أن السبب الأصلي في مصيبة هذه الأمة انما هو من داخلها وليس من الخارج. ولكن: للشيطان صوارف يعرف كيف يصرف الناس عنها وتنجح هذه الصوارف بقدر ما عند الناس من جهل ومن عاطفة متحررة من ضابط العلم والتقيد بقيد الشرع وضوابطه. وما لم يدندن المصلحون والدعاة حول هذه الحقيقة فلن يستطيعوا التغيير وانما الأصل الذي يجب أن ينطلقوا منه:

(إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم).

(وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم)

(قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير).

لماذا الكلام عن حزب التحرير

من فضل الله على هذه الأمة أنك لا تجد مخطئاً أو ضالاً أو مغالياً الا ويقيد الله له من يأمره وينهاه.

ولقد صار لحزب التحرير علامة بها يعرف وهي الطعن في خبر الواحد وعذاب القبر حتى غدت هاتان المسألتان من أهم وأول ما يجب اعتقاده، بل صار جدلهم حول خبر الواحد وعذاب القبر يفوق كلامهم عن الخلافة التي هي قضيتهم الام وشغلهم الشاغل.

وكان اللائق بهم الابتعاد عن الخوض في هذه المسائل التي لا خبرة لهم بها بحكم انشغالهم بمسائل السياسة. لكنهم لم يفعلوا، بل أخذوا يثيرون الشبهات ويتهمون مخالفيهم بمخالفة الدين وظهروا للناس بأنهم أكثر اصلاحاً وعلماً من أهل الحديث.

وقد راعيت في هذا البحث إثراء المسلم ببحث شامل عن خبر الواحد وعذاب القبر ينهي الشغب الذي أحدثه هؤلاء ويعد جامعا لكل بحث تطرق لهذه المسألة بما يساعد الباحث عن الحق حتى من أبناء الحزب على بلوغه في هاتين المسألتين وغيرهما.

ولأن أعضاء الحزب قد يجهلون أن رؤساء الحزب ومنظريه ينطلقون في هذه المسائل من منطلق المذهبين الأشعري والماتريدي وهما مذهبان كلاميان ينطلقان من علم الجدل والكلام الذي اتفق أئمة أهل السنة على ذمه والتحذير منه.

مؤسس حزب التحرير

قبل الكلام عن الحزب نوجز ترجمة لمؤسسه:

وهو: تقي الدين النبهاني رحمه الله حفيد ليوسف بن اسماعيل النبهاني الذي كان أحد غلاة التصوف وصاحب الكتاب الضخم المشهور «جامع كرامات الأولياء»[1].

ولد تقي الدين النبهاني سنة 1909 بقرية (إجزم) بقضاء حيفا. وحفظ القرآن ودرس الفقه على يد والده الشيخ ابراهيم النبهاني.

والتحق بجامعة الأزهر ليحصل بعد ذلك على شهادة العالمية ثم عاد الى حيفا واشتغل بالتدريس. ثم انتقل منها الى سلك القضاء حتى سنة 1948 حيث استقر في بيروت ثم عاد الى الأردن وعمل في الكلية الاسلامية الى أن تفرغ بعد ذلك لانشاء حزبه في الخمسينات متنقلا بين الاردن وسورية ولبنان لتوسيع قاعدة حزبه حتى توفي في لبنان بتاريخ 1977/12/10.

وله كتب عديدة منها «رسالة العرب» التي تظهر توجهه القومي حيث كان عضوا في كتلة القوميين العرب ويظهر أنها من أوائل ما كتب قبل مرحلة تأسيس الحزب ولست أدري أن كان قد صرح بالتراجع عن هذا الكتاب. ومنها كتاب «نظام الاسلام» و«نداء حار الى العالم الاسلامي» و«التكتل الحزبي» و«نظام الحكم في الاسلام» و«أسس النهضة» و«نظام الاسلام» و«الشخصية الاسلامية».

عقيــــدته

هو في العقيدة ماتريدي أكثر منه أشعرياً، وإن كان يرى أن كلاهما هم علماء التوحيد، وربما أشار الى بعض الخلافات التي حكاها بين الفرقتين حول التعليل والقدر. ولكنه بشكل عام يتبنى التأويل للصفات في مؤلفاته، مثال ذلك قوله في قوله تعالى (يد الله فوق أيديهم) أي قدرة الله تعالى فوق قدرتهم»[2]. وهذا التأويل وغيره شهد أبو الأشاعرة (أبو الحسن الأشعري) وشارح الفقه الأكبر الشيخ ملا علي قاري أن تأويل اليد بالقدرة والاستواء بالاستيلاء وإنكار علو الله في السماء هو عين تأويل المعتزلة وقولهم ومذهبهم[3].

وكذلك يقلد الرازي في تمجيد العقل وتقديمه على الأدلة الشرعية. فيصرح بأن أدلة القرآن والسنة تبقى ظنية ولا تفيد اليقين الا بشروط عشرة: منها عدم المعارض العقلي. بمعنى اذا عارض الدليلُ الشرعيُ العقلَ انقلب الدليل ظنياً ولو كان من القرآن والسنة. فخبر الآحاد ليس هو الدليل الظني عند القوم بل حتى الدليل المتواتر فانه ظني ولو كان آية في القرآن حتى تتفق مع العقل[4]!

فالعقل مصدر للتلقي منفصل عن المصدر الشرعي والدليل على ذلك زعمه أنه يجوز عقلا عنده ما لا يجوز شرعا. فيجوز عنده عقلا أن يجمع الصحابة على خطأ يظنونه حقا[5]. وهذه العقلانية مخالفة للشرع فقد قال النبي ε « لا تجتمع أمتي على ضلالة». بل ويحرم التحريريون على الناس ايراد الأدلة من القرآن أو السنة على إثبات وجود الله ويؤكدون على ذلك في كل مناسبة، وأنه يجب حصر الدليل بالأدلة العقلية فقط.

وقد كنت ألاحظ تحير خصوم الحزب عند مناقشة التحريريين لأنهم لا يعرفون شيئاً عن عقيدة الحزب ومؤسسه ولكن بعد البحث والتنقيب تأكد أنهم أشاعرة وماتريدية وربما كانوا يميلون أكثر مع الماتريدية فمؤسسهم من مؤولة الصفات ومثل هذا الموضوع أولى بالمناقشة معهم قبل الحديث عن خبر الواحد. وما خبر الواحد الا واحدة من مسائل العقيدة التي يخالف فيها الأشاعرة والماتريدية أهل السنة والجماعة.

ولقد جانب الصواب وكتم الحقيقة من زعم في الموسوعة الميسرة للعقائد والمذاهب أن عقيدة حزب التحرير لا تخرج عن عقيدة أهل السنة والجماعة[6]! ومع أن العقيدة الأشعرية والماتريدية ضلالتان منتشرتان في أكثر العالم الاسلامي مخالفتان لأهل السنة في الصفات وكلام الله والقدر وغيرها فإنه لم يتكلم في موسوعته شيئاً عنهما.

هل هو مجتهد مطلق؟

أتباعه يطلقون عليه هذا الوصف، ولكن ما عرفه مشايخ عصره بهذا الوصف. ولا تشهد له كتبه وآثاره بهذا الوصف فهو ليس من أهل الحديث ولا من المناظرين في الفقه والمدونين فيه. وكيف يثبت الحزب له صفة الاجتهاد وينفونها عن رسول الله؟ اذا كان الاجتهاد صفة مدح فليثبتوها من باب أولى الى النبي ε!

هذا وقد بدأ تقي الدين النبهاني رحمه الله قبل فكرة إنشاء حزبه يتصل بجماعة الاخوان المسلمين في الاردن وساعده التوجه التسييسي السائد عند الاخوان المسلمين على تبني فكرة إنشاء حزبه. ومن ثم أعلن عن حزبه الذي أدهش جماعة الاخوان وأغضبهم لأنهم رأوا ذلك خروجا عن نطاق الشرعية المتمثلة بهم وحدهم وتفريقا لوحدة المسلمين[7].

وقد قيل إن سبب هذا الانسلاخ عن جماعة الاخوان المسلمين هو حكمه عليهم بأن برنامجهم قد فشل وأن عليهم أن يتيحوا الدور لغيرهم. فكان أول ظهور علني لهذا الانسلاخ في محاضرته التي ألقاها بالقدس والتي قرر فيها أن الأمم لا تنهض بالأخلاق. فحدثت مشاجرات وخصوم أدت الى خروجه عنهم والتفرغ لبناء حزبه.

---

[1] - الأعلام للزركلي 218/8.

[2] - الشخصية الاسلامية 132/3 وانظر 374/3 ط: القدس 1953.

[3] - مقالات الاسلاميين للأشعري 157 تبيين كذب المفتري 150 لابن عساكر الفقه الاكبر 33 وانظر كتاب شرح الأصول الخمسة 228 ومتشابه القرآن 231 كلاهما للقاضي عبد الجبار المعتزلي.

[4] - الشخصية الاسلامية 158/3.

[5] - الشخصية الاسلامية 297/3.

[6] - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص 136.

[7] - الدعوة الاسلامية فريضة وجهاد 13 - 14.

بدايــة نشــأة الحزب

نشأ حزب التحرير على الطريقة التي نشأ عليها غيره من التأصيل الحماسي العاطفي. وجعل مسألة عودة الخلافة الاسلامية شعارا بل عقيدة تطغى على العقيدة. وبنى برنامجا سياسيا زعم أنه يجب أن لا يزيد على ثلاث عشرة سنة وبعدها يتسلم الخلافة. لكنه لم يراع بناء المنهج على أساس تربوي أخلاقي وانما على بنيان سياسي بحت. وكادت كتب الحزب تخلو من الدعوة الى الصدق والورع والتقوى والاخلاص، والتحذير من الشرك ووسائله ومداخله التي هي أكثر موضوع القرآن، وتخلو من التحذير من أصناف المعاصي التي هي بدورها من أسباب فقدان الخلافة.

قال الدكتور عبد الله النفيسي « ويبدو أن الحزب قد حدد مهمته فقط في نشر الأفكار دون تطبيقها: فتطبيق الأفكار موكول الى الدولة التي يزمع الحزب لاقامتها.. من هنا لا يرى الحزب القيام بأي عمل من أعمال الدعوة الى الصلاة أو الصيام لأن ذلك - حسب الدوسية - من مهام الدولة الاسلامية التي لم تقم» [8].

إن الحزب اليوم معزول عن الناس الى درجة القطيعة، فانه لا يمتلك مرجعيات علمية يلتف من حولها الناس وانما كل شؤون الدين معطلة مرهونة بقيام الخليفة واستعادة منصب الخلافة.

ولا تكاد تجد آثار السنة ظاهرة على المنتمين للحزب فاذا سئلوا عن تخليهم عن مظاهر السنة بادروك الى أن الشيء المهم الآن هو العمل لعودة الاسلام الى الحكم، وأنه لا مجال الآن للكلام عن محقرات السنن وقشور الاسلام.

ومادة القرآن والحديث قليلة واذا وجد فالكثير منها ضعيف. وكتبهم يغلب عليها القواعد الأصولية والنظريات السياسية وتمجيد العقل ويلاحظ عليهم كثرة اهتمامهم بأصول الفقه بما يفوق اهتمامهم بأصول العقيدة.

واذا تكلموا في الدين مجدوا العقل وشككوا في نصوص الشريعة حتى قال أحد قادتهم « كل نص شرعي فهو غير قطعي بل ظني الدلالة، وما من آية من آيات القرآن الا وقد اختلف في تفسيرها». ولما قيل له (أفي الله شك) سكت ولم يجب بشيء [9].

ولقد فشل الحزب في الدول الاسلامية وعجز عن أن يحقق أهدافه ولم يعد ثم أمل من أن تقوم له قائمة بعد أن حدد مدة ثلاث عشرة سنة لاعادة الخلافة وفشل في اعادتها في المدة التي حددها. وكان أكد أن استعادة الخلافة يجب أن لا تحتاج الى عشرات بل لا بد أن ينتج حتما على يد نفس الجيل الذي يقوم به هذا التثقيف» [10].

فطبيعة الحزب التعجلية وعدم ربط نظرياته حول الخلافة بالواقع الصعب سارع في رصده وكيل الضربات المتتالية له حتى تسبب في اقتياد زهرة الشباب المخلص إما الى السجن أو النفي أو القتل، وهي نتيجة كل عمل يتأسس على بنيان العاطفة والحماس المستقل عن الانضباط بضابط الشرع والمجرد من الصبر والتأني والحكمة. والآن يتخذ تحالفات مخالفة للمنهج مع طوائف تقف موقف العداء من السنة.

أضف الى أن الحزب كان يفتقر الى تطبيق النظريات والمبادىء الفكرية التي كان يدعو اليها مما أسهم في انفضاض العديد من المنتمين اليه.

وظن حزب التحرير أنه يمكنه الوصول الى سدة الحكم عن طريق تغيير انقلاب فكري وحدد الفترة بربع قرن على الأكثر ولكنه لم يحقق شيئاً من ذلك فانسحب كثير من أعضائه، وعلموا أنهم أضاعوا الوقت في أماني وفي وضع القوانين واصدار التعليمات لدولة غير موجودة.

بل قد شكك آخرون بأهداف الحزب وغاياته: معتبرين أن قيامه كان مدبرا بغرض بلبلة أفكار المسلمين حيث أن النتائج النفسية المقصودة هي تدمير نفسية هؤلاء الذين يجتذبهم الحزب لفترة من الزمن ثم لا يلبث أن يلفظهم عناصر شوهاء معدومة الانتاج مذبذبة التفكير صدمها الواقع المرير واحتارت بعد أن قام مبدأ حزبها على البحث عن النتيجة والتساهل في المحافظة على أسباب ووسائل التمكين وهي اقامة الدين بتفاصيله ونشر العلم بالتعلم والتعليم. وتلقت التنكيل والتعذيب لأسباب لا تتصل بالأسباب التي اضطهد من أجلها السلف الأوائل.

---

[8] - الموجز في تقويم الفكر الحركي للتيارات الاسلامية ص 4 (محاضرة ألقاها في مؤتمر الفكر الاسلامي والمستقبل الكويت 1993/10/8).

[9] - شريط (مناقشة مع أفراخ المعتزلة) مناظرة جرت بين الشيخ ناصر الدين الألباني وبين وفد من حزب التحرير قدموا لمناقشته.

[10] - الخلافة ص 158.

الحزب يرشح نواباً عنه في البرلمان اللبناني

ولكن كانت هذه الطريق عندهم أبعد الطرق عن تحقيق الغاية. وكان الطريق الأقرب منه في نظرهم الدخول في برلمانات لا تحكم الاسلام ولا تعتبره:

فقد رشح الحزب نائبا عنه في مجلس البرلمان اللبناني وهو الاستاذ علي فخر الدين ليصبح عضوا في مجلس النواب اللبناني.

كذلك رشح الحزب الشيخ أحمد داعور (من قلقيلية بفلسطين وعالم من خريجي الأزهر) نائبا عنه في البرلمان الأردني في الخمسينيات ثم ما لبث أن حكم عليه بالإعدام بعد الكشف عن محاولة الحزب للاستيلاء على النظام الحاكم.

وهذه الخطوة تتناقض ومبدأ الحزب في تحريمه لأي انخراط في الأنظمة التي لا تحكم بدين الاسلام. وغفل الحزب أن مصلحة إبقاء الاسلام عزيزاً أعظم مطلباً من المصالح الاجتماعية التي يستخدمها بعض المتساقطين المتخاذلين مبرراً لهم في الدخول الذليل بمظهرهم الاسلامي ولحاهم الى برلمانات والانضواء تحت أنظمة لا تعترف بالاسلام ولا تقيم له وزنا.

هجرة الحزب الى بلاد الغرب

ثم قدر لهذا الحزب أن ينتقل بسلبياته ومنهجه المتعجل الى بلد غربي شغلته المادية المعاصرة عن التعصب الصليبي القديم حيث الحاجة الى بعث التعصب الصليبي القديم ليقابل البعث الاسلامي المتنامي في كل مكان، وتضليل الجالية المسلمة هناك والتي صارت جزءا من المجتمع الغربي.

فقد قدم هذا الحزب خدمات جلية لمن يريدون بعث هذا التعصب من حيث لا يريد، وصار تهوره وكلامه عن الخلافة مبررا لاقفال مصليات الطلبة في الجامعات وتحجيم نشاطهم والمنع من اقامة المحاضرات والدروس بحجة سد ذرائع الشغب الذي قام به أتباع الحزب في الجامعات البريطانية حيث وقعت عدة حوادث أسفر بعضها عن بعض حوادث القتل.

وهنا كمين شيطاني تسبب بالجمود في دعوة النصارى في بلاد النصارى بعد أن بقيت الفرصة الذهبية للدعوة سانحة قبل نشر الحديث عن الخلافة وتفاصيل المبادىء التي يديم الحزب النقاش حولها كمسألة الخلافة وخبر الواحد وعذاب القبر.

وقد أدى هذا التهور والشغب دوره واستغلته أجهزة الإعلام أسوأ استغلال حيث صدرت أصوات تنادي بين الصليبيين بإراقة دمهم بالسيف، وليس من الحكمة أن يسمع النصارى ضرورة قتلهم قبل أن يسمعوا دعوة التوحيد ممن طلب اللجوء اليهم للأمن من الاضطهاد الذي هرب منه في بلاده!

وهذا مخالف لحال السلف الذين هاجروا الى الحبشة ليأمنوا على أنفسهم من ظلم قريش واضطهادها. فأحسنوا جوار من أحسن مجاورتهم وأمنهم من الفزع والملاحقة. كما قالت أم سلمة « لما نزلت أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي، أمِنّا على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذَى ولا نسمع شيئاً نكرهه».

ولك أن تتصور المسألة بافتراضها بشكل عكسي على النحو الآتي: لو أننا استقبلنا في بلادنا الاسلامية نصارى يدعون الى (الجهاد المقدس) وبعودة الحملات الصليبية بزعامة الكنيسة ضد الاسلام ولإراقة دم المسلمين كيف يستقبل الناس هذا الموقف؟!

والاسلام دين عدل وأخلاق يدعو الى العدل والبر بكل بار لا فرق في ذلك بين المسلم وغيره كما قال تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين).

إن الدور الذي لعبه الحزب كان له أثر سلبي في امتصاص طاقات الشباب المسلم المتطلع الى قيام الاسلام، وأهدار هذه الطاقات بإشغالها في أمور تصرفهم عما يمكن أن يقوموا به من الدعوة بين مجتمع لا يحرم الدعوة الى الاسلام، وتجعلهم يعيشون على أمل انتظار مجيء الخلافة بما يشبه انتظار الشيعة للمهدي المنتظر.

ثم المرحلة التي تلي ذلك اذا لم يتحقق الأمل: الإحباط وهي أخطر مرحلة تؤدي الى الشك في الحل الاسلامي.

هل لهذا الحزب طروحات عقدية؟

وليست للحزب أولويات عقدية واضحة ولا يطرح عقيدة محددة بل مطلب الخلافة عنده هو العقيدة التي لها الأولوية على جميع جوانب العقيدة الأخرى، وكأن الله قال (وما خلقت الجن والانس الا لاقامة الخلافة). وكأنه قال (ان الله لا يغفر أن لا تكون خلافة ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء).

وفاتهم أن منهج النبوة مخالف لذلك وأن أولويات هذا المنهج انقاذ ما أمكن من الناس من النار وتبليغ الرسالة واقامة الحجة سواء قامت الخلافة أم لم تقم. فكم من الأنبياء لم يمكن له وصبر على الدعوة وتبليغ الرسالة حتى مات. ومن الأنبياء من يأتي يوم القيامة وليس معه أحد ولكنه بلغ هذا الدين وبرئت ذمته ولم يؤمن له أحد. لكن شأن الدعوة مؤجل عند الحزب الى أن تقوم الخلافة.

وقد تكرر بكثرة تحذير الله من دعاء غيره أكثر من أي موضوع آخر واعتبره شركا ولم يكثر من الحديث عن أعداء المسلمين وتآمرهم عليهم. ومع ذلك لا يتحدث الحزب حول هذا الشرك المنتشر بين بل يتحالف مع من يخالفون هذا التحذير القرآني كالشيعة والصوفية.

وكما أنه كان هناك غلاة في حب أهل البيت كالروافض وغلاة في الأذكار ومحبة الأنبياء والأولياء كالصوفية فكذلك هناك غلاة في موضوع الخلافة وموضوع الوحدة. حتى صار الموضوعان عقيدة تنازلوا بسببها عن مبادىء عديدة، ووجدوا في حديث الشيعة عن ضرورة اقامة الدولة الاسلامية وضرورة توحيد المسلمين قاسماً مشتركاً فدعوا الى التقريب معهم وأثنوا على الخميني أولا لتأليفه كتاباً عن الحكومة الاسلامية، مع أن موضوع كتاب الخميني يدور حول إقامة الدولة الشيعية الباطنية المرتقبة بقيادة المهدي المنتظر. ولم يكن يقصد حكومة من يسميهم بالنواصب!

إن طروحات هذا الحزب أرضية تدعو الى التحرير ولكن: من أي شيء؟ إن كان المقصود تحريرهم من العقائد الباطلة فلماذا يغازلون أهلها كالروافض والبريلوية كما يفعل مندوب الحزب عمر بكري في بريطانيا؟

ولئن كان المقصود بالتحرير تحرير الأرض فليعتقدوا صحة حديث قتال اليهود في آخر الزمان فقد شكك عمر بكري التحريري في حديث :

« لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا يهود» وزعم أنه خبر آحاد « يصدّق به»[11] أي لا يؤمن به لأن التصديق بالشيء حسب ما اصطلح عليه هو وحزبه مرتبة بين مرتبة الايمان ومرتبة الكفر: بمعنى آخر: منزلة بين المنزلتين.

[11] - شريط الصيام 340.

حزب التحرير يعرض الخلافة على الخميني

ومن الأدلة على غياب العقيدة عند الحزب مسارعته الى مغازلة الخميني، وعرض البيعة له ليكون هو خليفة المسلمين مقابل استجابته لبعض الشروط.

وذهب وفد من الحزب الى طهران لهذا الغرض وقابلوا الخميني وعرضوا عليه الخلافة ووعدهم خيرا، غير أنه تجاهلهم بعد ذلك ولم يرسل اليهم أي جواب مما اضطر الحزب الى ارسال رسالة أخرى يعاتبه فيها على هذا التجاهل عنوانها «نقد الدستور الايراني» وقد اعترفت مجلة الخلافة التحريرية بذلك[12].

وامتدحت مجلة (الوعي) التحريرية كتاب الخميني (الحكومة الاسلامية) الذي صرح فيه بأن الأئمة أفضل من الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين[13]. ولقد نقل ابن حجر الهيتمي عن العلماء تكفير من قال «الأئمة أفضل من الأنبياء»[14].

أعظم شيء قام به الخميني في نظر الحزب

ولم يبال الحزب بهذا الكفر والشرك لأن التحذير من الشرك ليس من أولويات عمله فان الأولوية للسياسة والخلافة فقال التحريريون:

« أهم عمل سياسي قام به الامام الخميني هو تأليفه كتاب (الحكومة الاسلامية) وملاحقته هذا الأمر حتى ألف الحكومة نفسها... وقد أطلق الخميني شعار: لا شرقية ولا غربية بل اسلامية... وهذا لا يعني أن الخميني لم تكن له أخطاء ولكن ليس الآن وقتها»[15].

ولكن: إن لم يكن الوقت الآن مناسبا للتحدث عن أخطاء الشيعة في سب الصحابة واتهامهم بتحريف القرآن والردة عن الاسلام فمتى يحين؟

لماذا عندهم متسع من الوقت للتحدث عن غيره من حكام المسلمين ولا وقت لديهم للتحدث عن هذا الرجل؟

أليس هذا دليلا غياب العقيدة عند هذا الحزب لجهله أن من عقائد الشيعة القول بتحريف القرآن والحج الى مقابر الأئمة والاستغاثة بهم من دون الله وسب أصحاب رسول الله وأزواجه والغلو في الأئمة والقول بعصمتهم حتى فضلوهم على الأنبياء والملائكة.

فهكذا يخون حزب التحرير الأمة بتسليم قيادتها الى الشيعة. وكأنها خولته التكلم باسمها. وهذا تجاهل بتاريخ الفاطميين الأسود الهدام في العالم الاسلامي حيث فعلوا بالمسلمين ما لم يفعله اليهود ولا النصارى.

فهو حزب سياسي بحت كغيره من الأحزاب الأخرى التي لا تنطلق منطلقا عقائديا له الأولوية على كل شيء وانما تنشىء قالبا سياسيا يجتمع عليه كل من وافق هذا القالب ولو كان فاطميا باطنيا شيعيا أو خارجيا.

ونحن انما نقول هذا نصحا للأمة وتحذيرا لها ومنعا من الغش في الدين. وقد أوضح الامام مسلم صاحب الصحيح أن من لم يكشف معايب الرواة كان آثماً بفعله ذلك غاشاً لعوام المسلمين[16].

فكيف بمداهنة ومنافقة أهل البدع وستر معايب من جعلوا دينهم سب الصحابة واتهامهم بتحريف القرآن ثم بعد ذلك يغض معظم الحركات الاسلامية الطرف عن ذلك ويمتدحون مذهبهم ورموزهم، ففتحي يكن يصف الخميني بمجدد القرن العشرين واذا ذكر اسمه قال « رضي الله عنه وأرضاه» والغنوشي يكتب إهداء كتابه الجديد لروح الخميني، وهذا والله إن هذا هو السقوط.

ولم يكن لحزب التحرير أن يتعاون مع الشيعة لو أنهم اتهموا النبهاني بتحريف القرآن بل لحرموا التعامل معهم.

وما نتوقع من الاخوان أن يتعاونوا مع الشيعة لو أنهم اتهموا حسن البنا بتحريف القرآن، ولكن حزبية هؤلاء جعلت ولاءهم لرؤساء أحزابهم أعظم من ولائهم للصحابة وغيرتهم على أعراضهم أن تنتهك!

صورة من مجلة الخلافة تدعو فيه الخميني الى خلافة المسلمين

---

[12] - **العدد 18 تاريخ 1989/8/4 الصفحة الثانية.**

[13] - **الحكومة الاسلامية ص 52.**

[14] - **الإعلام بقواطع الاسلام ص 75 ط: دار الكتب العلمية..**

[15] - **مجلة الوعي التحريرية عدد 26 السنة الثالثة ذو القعدة 1409 حزيران 1989 .**

[16] - **مقدمة صحيح مسلم (28/1).**

صورة من ثناء مجلة الوعي على الخميني وكتابه «الحكومة الاسلامية»

ضرورة ربط تراجع المسلمين

من لم يشخص الداء لن يمكنه وصف الدواء. ولكن أكثر الحركات الاسلامية لا تتحدث عن ضرورة تشخيص الداء الواقع بالأمة ولذلك لم يعطوا دواء حقيقيا وانما وصفوا أدوية لا علاقة لها بنوع المرض الذي أصاب الأمة. وتوارث العلماء والعوام هذين المنهجين وانتشرت بدع العقائد والعبادات عبر علم الكلام وفلسفة التصوف.

فهذا غزو ثقافي لا يكاد يتحدث عنه من يدعون للخلافة بل يجهلونه ويجهلون أن السبب الأصلي في مصيبة هذه الأمة انما هو من داخلها وليس من الخارج. ولكن: للشيطان صوارف يعرف كيف يصرف الناس عنها وتنجح هذه الصوارف بقدر ما عند الناس من جهل ومن عاطفة متحررة من ضابط العلم والتقيد بقيد الشرع وضوابطه. وما لم يدندن المصلحون والدعاة حول هذه الحقيقة فلن يستطيعوا التغيير وانما الأصل الذي يجب أن ينطلقوا منه:

(إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم).

(وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم)

(قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير).

غياب حديث الحركات الاسلامية عن سنن الله

والحزب لا يعالج الأسباب التي ضاعت بسببها الخلافة وَفَقَدَ المسلمون أرضهم وشوكتهم. ولا يلتفت الى ظاهرة الاعراض عن الله في هذه الأمة وتفشي البدع والشرك ولا يلوم العصاة والمبدلين لسنة نبيهم ولا يربط سنن الله الشرعية بسننه الكونية انطلاقاً من قوله تعالى (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم). ومن هذا الفساد: الفساد الاعتقادي الذي تردى اليه المسلمون من انتشار البدع والشركيات والأضرحة التي ملأت المساجد.

وانما يريدون من الله أن يغير حالهم من غير أن يغيروا ما بأنفسهم وكأنهم يخافون المصارحة بتلك الحقيقة حتى لا ينفض الناس عن الحزب أو الجماعة لأن الأصل عندهم التجميع الجماهيري.

فهو حزب يقفز من مرحلة التكوين والاعداد التربوي الى الخلافة بينما يفتقد مرحلة التربية والعبادة وهو الهدف الذي تفرغ له النبي ع ثلاث عشرة سنة في بناء لبنة المجتمع الجديد، وكان يطبقه المهاجرون الأوائل أثناء وجودهم في الحبشة.

خطباء ما يطلبه المستمعون

فالله يقول (وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا) وخطباء العاطفة يقولون: كيدهم يضركم يسترون بخطبهم السياسية تقصيرهم في تعلم الدين وتعليمه ويسترون جهلهم بالهاب مشاعر العامة وعواطفهم ذات التأثير المؤقت ساعة من سنة ثم يتركونهم بعد ذلك غارقين في إعراض وانحراف هما سر تسلط العدو عليهم.

نعم إن العدو يمكر بالليل والنهار ولكن: هذا المكر ليس جديداً، فقد كان ملك غسان يتابع أحوال المسلمين في المدينة وما أن أمر النبي ع بمقاطعة كعب بن مالك حتى أرسل اليه رسالة يعرض عليه فيها أن يلحق به حتى يواسيه ويكرمه.

فلم يختلف المكر ولكن اختلف حالنا فلم نعد نتصف بالصبر والتقوى فزالت حصانتنا من أذى عدونا ومكره بمعاصينا وزال ضمان الله برد مكرهم إن صبرنا واتقينا (وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط) وكان علينا أن نعلم أنه اذا أضرنا مكرهم فقد أخللنا بشرط (وإن تصبروا وتتقوا) فلو كان الصبر والتقوى غالبين في الأمة لما ضرنا كيدهم.

دروس نبوية مهجورة لمن يعتبر!!

لقد بين النبي أن الأمة ستتعرض للمذلة والضعف لكنه بين أيضاً السبيل والدواء المخلص من هذا الذل الواقع بالأمة.

روى البيهقي والحاكم بسند صحيح عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ع قال « لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها الا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم، ولم ينقصوا المكيال والميزان الا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنِعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يُمطروا، ولا نقضوا عهد الله وعهد رسوله الا سُلِط عليهم عدوٌ من غيرهم فيأخذ بعض ما في أيديهم وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله الا جعل بأسهم بينهم.

وعن ابن عمر أن النبي ع قال « اذا تبايعتم بالعينة وأخذتم بأذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد في سبيل الله: سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى تعودوا الى دينكم».

أفاد الحديث اننا إن اجتنبنا ما حذر منه لن يقع الذل، وإلا فالذل مسبوق بذنب كما قال تعالى (ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكراً عليماً) فلا يمكن أن نكون شاكرين مؤمنين ثم يسلط الله علينا عدونا وهو الذي وعدنا بالنصر إن نحن نصرناه!

وعن ثوبان قال قال رسول الله ε « يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة الى قصعتها. فقالوا: أمن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة، وليقذفن في قلوبكم الوهن، قيل: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت»[17].

فهذه صفة المسلمين اليوم فهم مع كثرتهم ليس لهم من الايمان الصحيح ما يؤهلهم للسيادة فقد وقع فينا ما وقع ببني اسرائيل كما قال تعالى (فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيُغفر لنا) (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً).

ولا تنتصر الأمة والغلبة للخبث كما قالت عائشة «أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم اذا كثر الخبث» فما لم يتم تغليب نسبة الطيب في الأمة لن يتحقق النصر.

فمن ظن أن ضعف الأمة وقوة عدوها اليوم وهوانها على الأمم الأخرى انما حصل بدون سبب ارتكبته فكأنه ادعى أن الله أخلف وعده من غير سبب.

نموذج من قتال اليهود في سبيل الأرض

قال تعالى (ألم تر الى الملأ من بني اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله. قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليل منهم والله عليم بالظالمين. وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال. قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم. والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم).

في الآيات عبر عظيمة. فهي:

تبين تجاهل بني اسرائيل لسنن الله الكونية كسبب لإخراجهم من ديارهم.

أنهم تذكروا القتال في سبيل الله فقط عندما أخرجوا من ديارهم وأموالهم وقد قالوا لموسى من قبل: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون. فعاقبهم الله بالتيه في الأرض. وليس الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا.

أنهم اعترضوا على اصطفاء الله لطالوت واعتبروا أنهم أحق بالملك منه.

أنهم لما كتب عليهم القتال تولوا لحرصهم على الدنيا. فهذا نموذج يوضح لنا أولوية القتال للأرض عند اليهود، وتقاعسهم عن العمل لهذا الدين.

فلم يلتفتوا الى اصلاح حالهم الفاسد الذي هو سبب فقدان أرضهم وانما التفتوا الى جهاد من أجل الأرض وتجاهلوا كل شيء غيره.

وقصص بني اسرائيل ليست للتسلية ولكن الله يريد منا أن نأخذ منها العبر حتى لا نقع فيما وقعوا فيه.

وصـايـا عمـرية قيمـة

وهذا عمر بن الخطاب كان دائم التحذير لجيشه عند الذهاب للقتال من عمل المعاصي. لأنه كان يخاف على المسلمين من معاصيهم لا من عدوهم، فقد كتب الى سعد ومن معه من الجنود:

« أما بعد: فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو، وآمرك ومن معك أن تكونوا أكثر احتراساً من المعاصي منكم على عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم.

وإنما ينصر المسلمون بطاعتهم لله ومعصية عدوهم له، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة، لأن عددنا ليس كعددهم، ولا عدتنا كعدتهم، فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة، وإلا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله، ولا تقولوا إن عدونا شر منا فلن يسلط علينا وإن أسأنا، فرب قوم سلط عليهم قوم شر منهم، كما سلط المجوس على بني إسرائيل لما عملوا بمساخط الله فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً: واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم».

ومن هنا كان « الاقتصار» على تذكير المسلم بمخططات عدوه إلهاءً له عن معرفة الداء الحقيقي الذي المتسبب في نجاح مخططاته فإن الداء كامن فينا حين تركنا رسالة الله. ومهما حرصنا على الوعي السياسي فإن الوضع السياسي لن يتغير ما دام حالنا مع الله سيئاً (إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده) . وعليه فلا يمكن أن نجد حلاً لمصيبتنا وذلتنا الا بالدعوة للعودة الى الله.

---

[17] - **رواه أبود داود بسند صحيح.**

الخليفة المؤمن يحتاج الى مجتمع مؤمن

مقارنة مفيدة بين فرعون وهرقل

وحتى لو وجد حاكم طيب يريد تحكيم الشريعة فلن يتسنى له الظهور بذلك الا بوجود بيئة قابلة للاستجابة لله والرسول. هذا هرقل عظيم الروم دعا قومه الى مبايعة النبي ε فحاصوا حيصة حمر الوحش، فلما رأى ذلك منهم خاف على ملكه فناداهم وقال «أردت من ذلك أن أختبر مدى ثباتكم على دينكم».

وفي المقابل نجد أن سبب تمكن فرعون من قومه وتلبيسه عليهم بالأقاويل هو فسوق قومه (فاستخف قومه فأطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين).

ومن هنا وجب تهيئة الرعية للحاكم أو الخليفة المقبل فتقدم الدعوة الى الله على الدعوة الى فقه السياسة وترك الرعية بلا دعوة حتى يأتي خليفة ما الله أعلم متى يكون قدومه!

ان كشف مخططات العدو أمام عامة الناس على المنابر ليس الا زيادة في توهينهم كما كان يقال للمؤمنين من قبل (إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم). فما هو الأثر الذي أحدثته تلك الخطب على المسلمين التقليديين بعد تحذيرهم من مخططات العدو؟ هل غيرت اتجاههم وأحدثت عندهم الخضوع المطلق لله؟

كم كانوا يخيفون الناس من الشيوعيين الذين انهاروا بين ليلة وضحاها. ولا أذكر حديثاً واحداً يحكي أن رسول الله ε كان يقف على المنبر يحذر من مكر الأعداء ومخططاتهم. ومع ذلك فقد نصره الله.

وكان الأجدى الدعوة العودة الى التمسك بالسنة. وتعليق القلوب بالله واليوم الآخر وتثبيت معنى التضحية والبذل في سبيل هذا الدين. وأن تقرر عندهم أن تسلط العدو علينا كان بسبب من أنفسنا.

بهذا يمكن التغيير بأن تدعوهم الى تغيير ما بأنفسهم لا أن تترك هذا الأمر بحجة أن هذا يؤدي الى نشوب الخلاف بما يؤدي الى تفرق الصف الواحد ومن غير ربط الذنب بالعقوبة كما قال ابن عباس «اللهم ما نزل بلاء الا بذنب وما رفع الا بتوبة». وكأن هؤلاء يرون أن هذا البلاء لا علاقة له بالذنب.

همومهم تختلف وهموم النبي ε

لقد غدت عقيدة التوحيدة ثانوية عند هؤلاء لأن أهدافهم صارت أرضية فهم يتحدثون اليوم عن التعايش مع الفئات والفرق الأخرى والتوحيد مع الروافض والدفاع عن الأرض، كل هذا مع تغييب الحديث عن العقيدة.

ولم يكن هذا هم النبي الذي خرج من أرضه من أجل تبليغ الدعوة في مكان يستطيع أن يدعو فيه. بل كان همه إنقاذ من أمكن البشر حتى انه رفض عرض ملك الجبال أن يطبق على أهل مكة الأخشبين. فقال « بل أرجو الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده».

وكان يعطي الرجل العطاء وغيره أحب اليه منه مخافة أن يكبه الله في النار.

وكان ابن مسعود يأتي نادي قريش ليُسمعها وحي الله. فينهالون عليه ضرباً.

ويوجد من يحتج بمثل هذا الأثر وهو حجة عليهم، فإن باستطاعة الواحد منهم اليوم أن يبلغ القرآن في أماكن لا تعرف الاسلام وهي في نفس الوقت لا تمنع من التحدث عنه.

فنحن أمة لا نهتم فقط باسترجاع الأراضي المسلوبة. وإنما نهتم بخراف بني آدم الضالة الشاردة من الهندوس واليوذيين والنصارى واليهود وغيرهم أن يموتوا على ملل قبل دعوتهم ومن دون أن تقام الحجة عليهم. أما الأرض فالعاقبة فيها للمتقين (إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين).

طلب النصرة من الكفار

ومن علامات عدم تقيد الحزب بضوابط العقيدة تجويزه طلب النصرة ممن بيده السلطان ولو كان كافراً وجهله أن الكافر لن يعين على إقامة الخلافة وهو يعلم أن النصرة من أجل إقامة الخلافة هذا جهل بطبيعة العدو ومكره.

قال النبهاني « يجوز أن يستعان بالكفار بوصفهم أفراداً وبشرط أن يكونوا تحت الراية الإسلامية بغض النظر عن كونهم ذميين أو غير ذميين سواء كانوا من رعايا الدولة الاسلامية أم لم يكونوا»[18].

ويجوز للكافر أن يكون عضوا في البرلمان الاسلامي وأن يكون رئيس الدائرة أو قائد الجيش في الدولة المسلمة كافرا[19]. وجاء في الدوسية (ص 62) « والجهاد واجب تحت راية كل حاكم أيا كان» فهم يرون الجهاد تحته سواء أكان برا أو فاجرا، حكم بالاسلام أو حكم بأحكام الكفر، مخلصا للأمة أو عميلا لدولة كافرة. وجوز أن تدفع الدولة المسلمة الجزية للدولة الكافرة[20].

وقد طلب الحزب النصرة من سوريا والعراق وهما عنده نظام كفر ولكنهما لم يستجيبا له. وطلب من العقيد معمر القذافي أن يسلمهم الحكم لإعلان الخلافة سنة (1978) وقد بلغ من الغفلة أن ظن امكانية قيام الخلافة بمساعدة أعدائه أو أن يستجيبوا له ويسلموه مقاليد الحكم وكرسي الرئاسة التي ما بلغوها إلا بشق الإنفس. وهذا جهل مطبق بالخصوم وبدائية كبيرة في التعامل مع الأحداث السياسية التي أخذت منهم مأخذها.

وهذا المبدأ مناقض لخطاباتهم الحارة ضد الغرب والامبريالية الأمريكية، وغالب هذه الحركات إما أن تنتهي بالركود والسكوت أو تتخذ لها خطا معاكسا من المداهنة والمسايرة بعد تعرضها للضغوط والفتن ترغيبا وترهيبا، وأكثر هؤلاء لا يقدرون حقيقة كفر عدو المسلمين ومدى مكره بالرغم من ادعائهم إجادة السياسة وفقه الواقع.

وهذا ما جعل الدكتور عبد الله النفيسي يصف مبدأ طلب النصرة عند حزب التحرير بأنه «مفهوم بدائي جدا في العمل السياسي المعاصر». لأن هذا جهل بهذا الكافر وبموقفه من هذا الدين، ومكره بها.

وهم يسبون من الحكام من لم يكتب الكتاب الأخضر ولم يصرح بأن الأئمة أفضل من الأنبياء بينما يعرضون على القذافي والخميني أن يقيما دولة الخلافة: فقليلا من الانصاف.

ان نصر هذه الأمة يختلف عن انتصار الكفار على بعضهم البعض، إن نصرها متعلق بطاعتها لربها وسيرها على صراطه المستقيم. فالنظر الى اصلاح الأمة من داخلها وتعبيد المسلمين لربهم وتعلقهم به رجاء وخوفا ومحبة وخضوعا وتوكلا ونبذ آلهة التصوف وأولياء الدجل خطوة على طريق النصر، ويغنيها عن تحالفاتها المشبوهة ودخولها الذليل تحت ألوية الكفر وطلب النصرة من الكفار ليمنحوها الخلافة. وأتمنى أن يكون هؤلاء الكفار مغفلين ليمنحوها الخلافة، لكني لست أعتقدهم مغفلين لهذه الدرجة كما يظن سياسيونا.

ولقد رأينا شيئا من فقه هؤلاء السياسيين حين تهافتوا على من خدعهم ووضع عبارة (الله أكبر) على العلم فنسوا ما ارتكبه من مجازر بحق الدعوة والدعاة وغازلوه و«أوحى اليهم» أن شمس الخلافة بدأت تسطع من العراق!!!

وهذه الخدعة تنطلي على من أسسوا بنيانهم على أصول عاطفية وأولويات سياسية تتجاهل الضوابط الشرعية.

الغاية لا تبرر الوسيلة

قال الدكتور أحمد البغدادي الذي يثني عادة على الحزب « لقد فشل حزب التحرير في تحويل هذا الاسهام الفكري الى واقع ملموس مما اضطره في النهاية الى التشديد على « طلب النصرة» من أية جهة كانت لتحقيق المرحلة الأخيرة التي يحلم بها وهي الوصول الى السلطة: فكانت النتيجة المأساوية للعديد من المحاولات التي قام بها أعضاء الحزب في مصر وتونس.

وبذلك أصبح وجود حزب التحرير في الساحة السياسية معادلا للانتحار السياسي». ثم ذكر أن من أسباب ذلك أن الحزب من الأحزاب التي تنهج نهجاً انقلابيا لا يعرف التدرج[21].

في الولاء والبراء

إن موالاة أهل البدع القائلين بتحريف القرآن وكفر الصحابة مخالف لدين الاسلام فكما أنهم يتغنون بالبراءة من الحكام بغير ما أنزل الله فليتبرؤا من أهل البدع براءتهم من غيرهم. فإن أهواء أهل البدع أخطر على الناس من ظلم الحاكم أو كفره.

---

18 - **الشخصية الاسلامية 154/2**
19 - **نشرة أجوبة وأسئلة ربيع الثاني 1390 هـ الموافق 1970/6/5.**
20 - **كتاب نداء حار الى العالم الاسلامي 109.**
21 - **حزب التحرير 40 دار قرطاس. الكويت 1994**

في القضاء والقدر

قال تقي الدين النبهاني « ان أهل السنة عندهم احتيال على الألفاظ في هذه المسألة» أي القضاء والقدر»[22]. وكأنه يرى نفسه خارجا عن أهل السنة والجماعة. اللهم الا أن يقصد الماتريدية والأشاعرة فتسميتهم أهل سنة مع الاعتراف بتحايلهم فيه تناقض.

فإن المحققين من الأشاعرة كالجويني اعترفوا بانحراف المذهب الأشعري في القدر مما اضطر هو والباقلاني الى الاعتراف بضرورة إجراء تعديل في مفهوم المذهب للقدر.

وقد زعم الحزب أن «مسألة القضاء والقدر لم تأت في الكتاب ولا في السنة بهذين اللفظين مقرونتين»[23].

وهذا خطأ فقد قال النبي ع « أكثر من يموت من أمتي بعد كتاب الله وقضائه وقدره بالأنفس»[24].

في الايمــــان بالعقل

قال الحزب في « وقد بنى الاسلام العقيدة على العقل». وقالوا «لأن عقيدة الاسلام عقيدة عقلية وعقيدة سياسية»[25].

فالعقل عند التحريريين أصل من أصول الدين لأن العبد يعرف ربه بالعقل[26]. ويناقض ذلك قول عمر بكري التحريري أن التفرق حدث بين المسلمين لأنهم استخدموا عقولهم في أمور العقيدة»[27].

وتمجيد العقل لوثة اعتزالية سبق اليها أضل خلق الله كالفلاسفة والمعتزلة حيث حمّلوا العقل ما لا يحتمل فخرجوا بعقولهم عن المعقول والمنقول. واتخذوا عقولهم آلهة ونتج عن ذلك العبث بآيات الله والقول في الله وصفاته بغير علم ولا هدى.

في الاحكام اليومية

ولا يرى الحزب القيام بأي أعمال من دعوة الى صلاة أو صيام أو إقامة حد أوغيرها من الأحكام لأن هذه الأحكام في نظره من خصوصيات الدولة الإسلامية بعد قيامها». وعندهم لا تقوم قائمة حتى يأتي الخليفة فقد قال عمر بكري « في غياب الخليفة لا يوجد شيء اسمه قضاء» [28].

في الاخلاق والروح والتعلم والتعليم

وينتقد الحزب الجمعيات الاسلامية التي جعلت الدعوة الى الاخلاق من منهجها ويقرر أن الأمم لا تنهض بالأخلاق وانما بالعقائد وبالأفكار التي تحملها وبالأنظمة التي تطبقها»[29].

ويصرح بأن «الدعوة الى الاخلاق الفاضلة لا يمكن أن تؤدي الى اصلاح المجتمع ولا الى انهاض الأمة لأن اصلاح المجتمع انما يحصل باصلاح الأفكار... فالدعوة الى الاخلاق الفاضلة ليست دعوة لحل قضية المسلمين المصيرية»[30]. وأنكر النبهاني - مؤسس الحزب - وجود أشواق روحية في الانسان[31]. وترتب على هذا الإنكار كما هو ملاحظ قسوة وجفاء في سلوك أعضاء الحزب، وافتقدوا للسماحة واللين والقابلية للمناقشة والحوار.

ومن هنا كانت رموز تتسم الحزب بالجفاء والقسوة وتكرار المواضيع السياسية التي لم تستفد منها الروح ولم ترقق القلب بل زادته قسوة.

وهذا ما يفسر مواقف بعض أعضائه غير الحميدة مع الجماعات الأخرى. وتميزهم بالجدل. وهو الأمر الذي جعل الدكتور عبد الله النفيسي يقول بأن الحزب « يضمر عداء ثابتاً لكل التيارات الوطنية والقومية والاسلامية في الوطن العربي مما جعله حزباً معزولاً ولا يتمتع بعلاقات سياسية جيدة مما حال دون تشكله ونضوجه في صيرورة شعبية».

---

22 - **الشخصية الاسلامية 54/1.**

23 - **الدوسية ص 18.**

24 - **أخرجه الهيثمي في (مجمع الزوائد 6/5) وحسنه الحافظ في (فتح الباري 167/10).**

25 - **كتاب الايمان ص 68 حزب التحرير ص 26.**

26 - **تعس عبد العقل.**

27 - **تفسير المائدة 29.00/2.**

28 - **شريط الصيام 0.25.**

29 - **التكتل الحزبي 18.**

30 - **منهج حزب التحرير في التغيير 26-27.**

31 - **نظام الاسلام 61 الفكر الاسلامي المعاصر 202.**

وانحسر مفهوم الروح عند الحزب الى موضوع فكري بحت حتى أهمل الأتباع النوافل والمأمورات: ظاهرها وباطنها. وضعفت صلتهم بالقرآن وتهاونوا بأمور الدين وانعدم طلب العلم وصار امر الخلافة هو الأمل المنشود الذي علق كل شيء في أمور الدين والدنيا على وجوده.

الزيادة في الستر عندهم انهيار في الخلق

وحمل تقي الدين النبهاني على من يقولون بأن المرأة كلها عورة واعتبر ذلك انهياراً في الخلق، ورأى أنه لابد من اجتماع الرجل بالمرأة، ولا بد من تعاونهما للتبادل التجاري[32].

فهذه الزيادة في الستر عنده انهيار في الأخلاق. وهذا الاتهام فريد من نوعه فعادة ما يتهم من يقول ان المرأة كلها عورة بالتعصب أو التشدد أما أن يكون هذا القول انهياراً في الخلق فقول لا أعتقد أن قد سبقه اليه أحد.

لا علاقة لهم بالوعظ والتعليم

ويحصر الحزب الزاوية التي ينطلق منها في الدعوة بالجانب السياسي فقط فيصرح بأن « حزب التحرير هو تكتل سياسي وليس هو تكتلا للأعمال الخيرية...» قالوا « فعمل الحزب كله عمل سياسي وليس عمله تعليمياً فهو ليس مدرسة كما أن عمله ليس وعظاً وإرشادا بل هو عمل سياسي»[33] .

ومع ذلك فهم يحتجون دائماً بقوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر).

---

[32] - **النظام الاجتماعي في الاسلام ص 10 و128.**

[33] - **منهج حزب التحرير في التغيير 28و31 كتاب حزب التحرير 25.**

التأصيل السياسي لا العلمي

اننا لا ننتقد على الحزب اهتمامه بالسياسة. ولكننا ننتقد عليه انشغاله بالسياسة على حساب الأمور المهمة الأخرى.

ومن كان تأصيله سياسياً بلا علم شرعي يضبط به سياسته بضابط الشرع فمآله التخبط السياسي.

ويشهد لذلك أحداث كثيرة منها موقف الحزب من المعتدي على الكويت حيث انحاز هو وكثير ممن يدعون فقه السياسة الى العراق لمجرد وضعه عبارة (الله أكبر) وهذه واحدة من خدع السياسة التي انخدع بها من تحرروا من ضوابط الشرع وفتاوى علماء الدين.

التعامل مع أهل البدع

ومن لا يضبط السياسة بضابط الشرع فلن يرى بأسا في التعامل مع مذاهب المبتدعة كالروافض ومدحهم، لأن مصلحة السياسة المتحررة من قيد الشرع تتطلب ذلك.

ولا نعجب حينئذ أن نرى الحزب يقلل من شأن المذهب الشيعي ويجعله مذهبا خامسا الى جانب المذاهب الأربعة الشافعية والحنابلة والحنفية والمالكية فيقول:

« ليس هناك فرق بين شافعي وحنفي وجعفري وزيدي، فكل حكم شرعي استنباطه من قِبَل أي مجتهد حسب الأدلة الشرعية يجوز اتباعه حسب الأدلة الشرعية... وأما ما يثار من تفريق أو تمزيق بين سني وشيعي فإن وراءه قوى حاقدة على الاسلام يقف الحزب ضدها ويحاربها بكل ما يستطيع»[34].

نتيجة الغلو في الخلافة

ان غلو التحريريين في مسألة الخلافة جعل كل إثم سوى إثم فقدان الخلافة صغيرا.

فهم لا يجهلون أن الشيعة يسبون صحابة النبي ε ويتهمونهم بتحريف القرآن ويسبون أمهات المؤمنين. ولكن صغر ذلك في عيني الحزب بالنسبة لما هو أعظم عندهم من مسألة تحريف القرآن: وهو قضية الخلافة ولو كانت على حساب تحريف القرآن وسب الصحابة وعبادة أهل البيت.

فهم مستعدون للتنازل عن العقيدة والتغاضي عن المخالفات فيها من أجل مصلحة السياسة واسترداد الخلافة (زعموا).

وموضوع كتاب الخميني (الحكومة الاسلامية) يتفق وطروحات الحزب، فلذلك شعروا بوحدة الأفكار والطروحات بينهم وبينه فتجاهلوا التباعد العقدي بينهم وبينه، لأن الخلافة عندهم هي العقيدة، وكل شأن من شئون الأمة فهو معطل مؤخر متروك حتى تقوم الخلافة!

ورأوا في (قم) بصيص أمل لعودة الخلافة من هناك. فلهذا ذهب الحزب اليه وعرض عليه أن يكون خليفة المسلمين. وهذه بدائية تامة في حقل العمل الاسلامي. وتجاهل للحدود العقائدية التي لا يجوز تجاوزها مهما كانت الأسباب.

---

[34] - **مجلة الوعي التحريرية. العدد 75 ص 23. السنة السابعة 1993.**

دليلهم على تعدد الجماعات

ويستدل حزب التحرير على شرعية تعدد الحركات والجماعات وانشاء الأحزاب بقوله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)
والجواب أن الحزب يحتج بهذه الآية على جواز التحزب في الوقت الذي لا يرى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيلا يتوصل معه الى تغيير وضع الأمة. فقد قالوا « ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس هو الطريق الى اقامة الخلافة واعادة الاسلام»[35].

* وقد صرحوا بأن « عمل الحزب كله عمل سياسي وليس عمله عملا تعليمياً وليس وعظا وارشادا بل هو عمل سياسي»[36].

والجواب أن المسلمين لم يعرفوا الحزبية بعد نزول الآية، فقد طبق السلف هذه الآية فأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، ولم ينشئوا لذلك حزباً، فهل غاب هذا الفهم عن السلف فأهملوا تطبيق الآية حتى جاء حزب التحرير وعمل بها؟

* أنه من المعلوم أن هناك أحزاباً أخرى تجعل من هذه الآية دليلا على مشروعية تحزبها كالإخوان المسلمين وغيرهم. وهذا مدعاة للتحزب والانشقاق لأن الأحزاب تكثر بسرعة ولا يعود من الممكن تقييد التحزب بحزب أو حزبين.

في حين أن الآية نصت على اختيار أمة واحدة لا أمماً شتى، ولم يتحدث القرآن عن أحزاب اسلامية وانما أجاز وجود حزب واحد وهو حزب الله في مقابل حزب الشيطان.

لقد قال عمر بكري بالأمس « الله أذن لنا أن نكون فرقا» واحتج بنفس الآية (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)[37]وبعد أن قالها بالأمس يوم أن كان تحريريا فتح اليوم دكاناً جديدة باسم «المهاجرون» من غير أن يبين سبب تفضيل الحزب الجديد على الحزب القديم الذي التزمه سنوات عديدة: ولا يمكن تفسير هذا العمل الا بأن الرجل يسعى لفتح دكاكين وأحزاب بين المسلمين. فبالأمس كان تحريريا واليوم يفضل حزب «المهاجرون» عليه. وغدا يفتح دكانا جديدة يفضلها على «المهاجرون». وهذا مدعاة للتفرقة والتشييع. وقد نهي القرآن عن ذلك (ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون) .

* لو كان معنى (أمة) (حزب) لتشتتت هذه الأمة الى أمم شتى فان الأحزاب اليوم كثيرة كل منها يستدل بالآية. فلا يعود ثمة حل لمشكلة الحزبية الا أن نقول: اذا قام في الأمة حزبان فحاربوا الآخر منهما.

وذلك على غرار قول النبي ε « اذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما».

فان الاحزاب متنافسة فيما بينها ويمكن وصفها بأنها قبائل سياسية، قابل فتيلها للاحتراق في أي لحظة كما حدث في أفغانستان حيث ظهر غيظ قلوب المتحزبين فمال بعضهم على بعض قتلا وقصفا على غرار ما كان يحدث بين الأوس والخزرج قبل الاسلام. فليقلعوا عن الحزبية أولا ثم ليتحدثوا بعد ذلك عن وحدة الأمة. فالحزبية من أهم عوامل التفرقة.

وهؤلاء الحزبيون الآخرون لا يسلمون لحزب التحرير أن يكون تلك الأمة المعنية في القرآن. فهاهو عمر بكري الذي بقي في حزب التحرير مدة خمس عشرة سنة يقرر اليوم تركه وإنشاء حزب آخر جديد في جسد الأمة واسمه حزب «المهاجرون» من غير أن يبين سبب هذا الترك، ولم ينتقد الحزب مما يبعث على الشك أن تكون القضية ترويج التحزب بين عامة المسلمين الانجليز الآسيويي الأصل وبث الفوضى الدينية بينهم!!

ولتكن من حزب التحرير أمة!!

وماذا لو قلنا: ولتكن من حزب التحرير أمة يدعون الى الخير: هل يرضى الحزب أن ينشأ داخل الحزب أمة أو أمم يدعون الى الخير؟ أيرضى التعددية في بنية أمة الاسلام ولا يرضاها في بنية الحزب؟

لماذا يجوز لي أن أنشىء حزبا بل وأحزابا في دين محمد.

ولا يجوز لتحريري أن ينشىء حزبا جديدا في حزب النبهاني؟

ثم ان منهج الحزب الاهتمام بالجماعة كجماعة لا كأفراد على قاعدة «أصلح المجتمع يصلح الفرد» مخالف للمنهج النبوي الذي بنى أفراداً غيروا بعد ذلك أمماً.

---

35 - منهج حزب التحرير من التغيير 21.

36 - منهج حزب التحرير في التغيير 28و31

37 - تفسير المائدة 233.00/2 فيديو.

الحزبيون يبكون على تحزب الأمة!!

ومن العجيب أن يتحدث الحزبيون عن وحدة الأمة وقد مزقتها تحزباتهم، فهل تحزيب الأمة حلال لهم حرام على غيرهم؟

هم في الحقيقة آخر من يحق له التحدث عن وحدة المسلمين. لأن ترك الحزبية خطوة على طريق الوحدة، فإن الحزبية والوحدة ضدان لا يجتمعان، والتحزيب يودي بالأمة الى التخريب.

ونسأل: هل كانت هذه الأمة - بالمفهوم التحريري الحزبي - موجودة قبل حزب التحرير أم كانت معدومة؟

ولماذا تسمي نفسها باسم (التحرير) وهو ما يخالف المهمة التي كلف الله بها هذه الأمة؟

وما هي سمة أعضاء هذا الحزب الذين جلهم من حليقي اللحى جهال الدين، لا يبدو عليهم أثر الدعوة ولا طلب العلم وانما هم من المتعجلين الذين لا يربطون سنن الله الكونية بسننه الشرعية ولا صبر لهم على طلب العلم لأنه طريق طويل وشاق لا علاقة له عندهم بالوصول الى الهدف. ولا عرفناهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وانما عرفناهم يؤجلون النهي عن المنكر الى قيام الخليفة «ان شاء الله» لأن ضياع الخلافة هو المنكر الأكبر وأصل الشر وإنكار المنكرات التي دونه غير مجدية حتى يتم استئصال الشر من أصله!

وكأن الله عندهم لا يغفر أن نفقد الخلافة، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء

وقد قال لي أحد أعضائهم: ماذا ينفع اصلاح أغصان الشجرة ان كانت جذورها فاسدة يجب اقتلاع الشجرة من جذورها.

فقلت له: هذا المثل لا ينطبق على واقع الأمة. والمثال الأقرب من هذا الى الواقع أن نقول: اذا كان عندك قطيع من الغنم وانطلقت كل واحدة منها الى جهة مختلفة وكان بامكانك أن تمسك ثلاثة منها فماذا تفعل؟ هل تصر على إمساك الجميع والا لا تفعل؟ أم أنك ستحاول إمساك ما استطعت ولو واحدة؟ فكذلك اذا استطعت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ولو في مجتمع يغلب عليه المنكر فافعل ولا تكن سلبيا، فان المسلم يحمل دائما شعار «درء الفساد ما أمكن». ثم إن شجرة الاسلام وإن أصابها ما أصابها فإنها لم تفسد بالكلية « ومن قال: هلك الناس فهو أهلكهم».

ولم يتميز حزب التحرير على الآخرين بأمر بمعروف ولا نهي عن منكر. وعلى العكس من ذلك فعلاقاته بالبريلوية في بريطانيا وبالشيعة يرد ذلك.

ومن الطبيعي لمن يعيش تحت سلطان الحكام وهو ضعيف ثم يقول لهم أنا أطالب بعروشكم وأحاربكم أن ينشغل بضرباتهم عن الدعوة. وانما يستطيع العمل من كان أصل عمله دعوة الخلق الى الاصلاح ما استطاع سواء قامت الخلافة أم لم تقم. والى عبادة الله وحده ونبذ الشرك الذي وقع فيه كثيرون في الأمة ولا منكر بين الحركات التي ليس في برنامجها الا العمل السياسي المجرد.

فحزب التحرير كان ولا يزال ممنوعا من العمل السياسي والاجتماعي العلني في المجتمعات العربية، وهذا ما حدا به الى الاغتراب وكتابة المنشورات في المجتمعات الغربية غير المسلمة والتي كانت دائما - ولا تزال - محل نقد شديد من قبل الحزب ذاته» [38].

---

[38] - **حزب التحرير وجماعة التبليغ ص14 (مؤتمر الفكر الاسلامي والمستقبل).**

البلاد الاسلامية كلها عند الحزب دار كفر!

ويرى الحزب البلاد الاسلامية التي لا تحكمها أنظمة اسلامية بأنها دار حرب لا دار اسلام. قالوا «بلاد المسلمين تعتبر كلها دار كفر ولو كان أهلها مسلمين، والمسلمون اليوم يعيشون في دار كفر»[39]. وبالطبع مكة والمدينة غير مستثناة من حكم الكفر.

لأن البلاد لا تعتبر اسلامية عندهم الا اذا حكمتها دول وأنظمة اسلامية[40]. قالوا « القوانين والأنظمة التي تطبق على المسلمين في جميع بلاد الاسلام انما هي أنظمة كفر وقوانين كفر. وهذا ما يجعل المجتمعات في البلاد الاسلامية «جميعها» مجتمعات غير اسلامية... وبلاد الاسلام التي يعيشون فيها ليست دار اسلام»[41].

وهذا القول يعتبر منطلقاً لمزيد من التهور، وانطلاقة للسير على خطى الخوارج. والبدعة تكون في أول الأمر ذراعاً ثم تصير باعاً.

قال الدكتور همام سعيد « ان القول بتقسيم العالم الى دار اسلام ودار حرب - وأنه لا يوجد الآن دار اسلام - قول بعيد عن الحقيقة، فان هذه التقسيمات كانت في ظل الدولة الاسلامية ذات الجيوش الموجهة لفتح الأصقاع ونشر العقيدة، ونفي صفة الاسلام عن المجتمع تجن كبير وتجاهل لجوانب من الخير لا تزال موجودة، وهو في الوقت نفسه باعث على الاحباط ويفسح المجال لأعداء الاسلام لاستغلال طاقات المجتمع الذي تخلينا عنه عندما نصفه بمثل هذه الصفة الخطيرة»[42].

حتى مكة والمدينة دار كفر عندهم!

وسألت أحد أعضائهم: ماذا تعتبر مكة والمدينة؟ هل هما دار ايمان أم دار كفر وحرب! فقال: هما دار حرب وكفر. قلت: أفيجوز أن يقول الحاج: أنا ذاهب لأحج في ديار الكفر؟ وأين دار الايمان إن كانت مكة والمدينة دار كفر!

وسألهم سائل « هل يوجد دار اسلام في العالم كله اليوم؟ قالوا: لا. قال: أنا أريد الهجرة فألى أين أهاجر؟ فعجزوا عن اجابته.

---

[39] - **حزب التحرير 32و103.**

[40] - **الدولة الاسلامية ص 55 ميثاق الأمة 14.**

[41] - **منهج حزب التحرير في التغيير 10و11و34 ميثاق الأمة 44.**

[42] - **حزب التحرير دراسة ونقد (ضمن ندوة اتجاهات الفكر الاسلامي المعاصر 622 للدكتور همام سعيد ط مكتب التربية العربي لدول الخليج).**

(((من ثمرات إبعاد الأخلاق)))

فتــاوى فقـهيـة بـاطـلــــة

وتفرد الحزب بفتاوى استغربها كثير من الناس، وهذه الفتاوى من الخطورة لدرجة أنها تؤثر تأثيراً مباشرا على أخلاق المستجيبين لها، ومن هذه الفتاوى:

● جواز تقبيل المرأة الأجنبية ومصافحتها. فقد أرسل أحد الناس سؤالا للحزب: ما حكم القبلة بشهوة؟ فكان جواب الحزب « من مجموع الأجوبة المذكورة أن القبلة بغير شهوة مباحا وليس حراما...»[43].

● وفي نشرة أجوبة وأسئلة بتاريخ 1970/4/26 قالوا « فلا يقال ما هو دليل إباحة تقبيل المرأة وما هو دليل مصافحة المرأة ولا ما هو دليل التكلم مع المرأة؟ وما هو دليل إباحة سماع صوت المرأة وغير ذلك مما يدخل تحت عموميات الأدلة. بل الذي يقال: ما هو دليل تحريم تقبيل المرأة للرجل؟ فيقال دخول هذا التقبيل تحت دليل تحريم الزنا يجعله حراما، فاذا لم يدخل يظل مباحا حتى يثبت تحريمه بدليل ما».

وبالطبع لن يرضى هذا المفتي فتواه هذه لأمه أو أخته؟
فأما القول بتقبيل المرأة ومصافحتها فليس انهياراً في الأخلاق،
وأما القول بوجوب تغطية وجهها فهو عند النبهاني انهيار في الأخلاق[44]!!

جواز مصافحة المرأة

وقالوا عن جواز مصافحة المرأة الأجنبية « وتكون البيعة [للخليفة] مصافحةً باليد لا فرق بين الرجال والنساء»[45]. واحتجوا برواية أم عطية على المصافحة، مع أنه ليس فيها نص صريح على المصافحة. ولا يجوز الاعراض عن صريح قول عائشة «لا والله ما مست يد النبي يد امرأة قط» حيث روت قول النبي ε عند المبايعة «قد بايعتك كلاماً»[46].

وأما ما جاء في المراسيل عن الشعبي أنه ε أتِيَ ببُرد قطري فوضعه على يده. فهذا مرسل والمراسيل لا تقوم بها حجة كما بينه النووي[47]. وليس من الانصاف الاعتماد عليها مع تجاهل صريح قول عائشة عند البخاري. وعلى فرض صحتها فقد ذهب أهل العلم الى أن قول عائشة فيه رد على ما روي عن أم عطية. قال الحافظ « وكأن عائشة أشارت بذلك الى الرد على ما جاء عن أم عطية» (الفتح 636/8).

---

[43] - **نشرة جواب سؤال 24 ربيع الأول سنة 1390 هـ 1970/5/29 ونشرة جواب وسؤال 8 محرم 1390 الموافق 1970/3/16).**
[44] - **النظام الاجتماعي في الاسلام 10 و 128.**
[45] - **الخلافة ص 32.**
[46] - **البخاري رقم (4891).**
[47] - **شرح النووي على مسلم (30/1)**

وليحكم حزب التحرير بما أنزل الله

فلا يكفيهم أن يقول رسول الله ε « اني لا أصافح النساء، انما قولي لمئة امرأة كقولي لامرأة واحدة» كما في حديث اميمة حين جاء النساء يبايعنه [48] ولا أن يقول النبي ε« لأن يُطعن في رأس رجل بمخيط خير من أن يمس امرأة لا تحل له" [49].

فانهم بالرغم من هذه الأدلة: أصروا على خطئهم ولم يحكموا بما أنزل الله. فكيف يمكن الله لهم في الأرض وهم يقتصرون على الحكم بما قرر النبهاني.

فهذا يصلح أن يكون دليلا على أن هذه الحركات لم يئن أوانها لتحمل رسالة الاسلام بعد: لأنها لم تستسلم لهذا المنهج تماما بعد، ولقد كادت تلحق بالصحابة هزيمة نكراء لعصيانهم أمر النبي بالثبات على الجبل وعدم مغادرته فكيف الحال بمن ينسبون الى النبي ما ثبت أنه قال وفعل عكسه؟ هل ينصرهم الله على عدوهم.

ولقد تناقض عمر بكري (مفتي الحزب) فزعم أولا أن الرسول ε لم يكن يصافح النساء لكنه أذن لعمر أن يصافحهن، فصافح عمر النساء في بيعة النساء[50]. وكان بكري زعم من قبل أن عائشة أخطأت حين قالت أن النبي لم يكن يصافح النساء.

- إباحة رؤية الصور العارية لأنها ليست جسماً على الحقيقة. وبالطبع هذا شيء لا يرضونه لأخواتهم أو بناتهم!

- والرد عليهم من كلام الرسول ε « كتب على ابن آدم حظه من الزنا مدرك ذلك لا محالة: العينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، والفم يزني وزناه القبل» قال النووي « ومتى حرم النظر حرم اللمس»[51]. وفي قول النووي رد على تجويز النبهاني المصافحة. حيث زعم أن لمس النساء ليس حراماً»[52].

- وقد رأى النبهاني أن معنى قول النبي ε «إصرف بصرك» يعني النهي عن النظر الى غير الوجه والكفين. ومعنى قوله ε «لا تتبع النظرة النظرة» أي تكرار النظر الذي يسبب الشهوة وليس النهي عن مجرد النظر».

قال «ومعنى (غض البصر) أي أن النساء قد يكن كاشفات لما يزيد عن الوجه والكفين فعليكم غض البصر وليس عدم النظر» [53].

- جواز لبس الباروكة والبنطلون والخروج لحضور مهرجان انتخابي أو مؤتمر عام ولو منعها زوجها فلم تطعه لم تكن ناشزة[54].

- سقوط الصلاة عن رجل الفضاء المسلم وعن سكان القطبين من المسلمين.

---

[48] - **رواه ابن حبان (14) الترمذي(1597) النسائي (149/7) ابن ماجة (2874).**
[49] - **رواه البيهقي والطبراني باسناد صحيح. (سلسلة الصحيحة 226).**
[50] - **تفسير النور 20 ,150 الجزء السادس (فيديو).**
[51] - **نهاية المحتاج الى شرح المنهاج 195/6.**
[52] - **النظام الاجتماعي في الاسلام 58.**
[53] - **النظام الاجتماعي في الاسلام 44-45 و54 .**
[54] - **نشرة جواب وسؤال 2 محرم 1392 هـ 1972/2/17.**

في البيت أم في البرلمان ؟

● ويجوز للمرأة أن تكون عضوا في البرلمان[55]. ويجوز أن تتولى القضاء[56] مع أن الله أمرهن أن يقررن في بيوتهن (وقرن في بيوتكن) وقال الرسول «قد أذن الله لكن أن تخرجن لحوائجكن»[57] ولم يقل لتولي شئون البلاد والنيابة عن الشعب في البرلمان، وقال « ما أفلح قوم ولوا أمرهم امرأة»[58] ودخولها البرلمان داخل في تولي أمور المسلمين.

ولقد أبدى الدكتور عبد الله النفيسي تعجبه من التناقض في مواقف الحزب حيث يتوسع في منح المرأة «حقوقها» بينما نجده ينص في بعض مواده على (رقم 34-35) على أن الأصل في المرأة أنها أم وربة بيت وعِرضٌ يجب أن يُصان وأن الأصل أن ينفصل الرجال عن النساء. قال: كيف نوفق بين هذا وذاك؟

---

[55] - **مقدمة الدستور ص 114 ميثاق الأمة 72.**

[56] - **النظام الاجتماعي في الاسلام 89**

[57] - **رواه البخاري الفتح 337/9.**

[58] - **رواه البخاري (4425) و (7099) بلفظ « لن يفلح قوم».**

هل يقتل المسلم بالكافر

وزعم حزب التحرير أن المسلم يقتل بالكافر، راداً بذلك صريح حديث النبي « لا يقتل مسلم بكافر» الثابت بسند صحيح عند البخاري وغيره [59] محتجا بما عند الطبراني أن عليا أتي برجل من المسلمين قتل رجلا من أهل الذمة فقامت عليه البينة فأمر بقتله» وقول النبي « نحن أحق من أوفى بذمته» [60].

وهذا الإسناد وغيره من الأسانيد ضعيفة، ضعفه الزيلعي في نصب الراية (337/4). وأصح منها ما أخرجه أحمد وحسنه الترمذي وصححه ابن خزيمة عن النبي أن عقل الكتابيين نصف عقل المسلم» وما رواه أبو داود أيضاً باسناد حسن أن دية أهل الكتاب على عهد النبي نصف دية المسلمين.

---

[59] - **رواه البخاري حديث رقم (6915) كتاب الديات: باب لا يقتل المسلم بالكافر. والترمذي رقم (1412).**

[60] - **رواه البيهقي وهو ضعيف فيه البيلماني (الشخصية الاسلامية ص 83).**

لا يجوز للرسول أن يجتهد

وزعم الحزب أنه لا يجوز في حق الرسول أن يكون مجتهدا[61]. قال عمر بكري « نحن نتبنى أن النبي لا يجتهد (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى)[62] قال « وثبت أن النبي كان ينتظر في أي مسألة حتى يأتيه الوحي فلا يجيب من رأسه أبداً[63].

وكثيرا ما سمعنا عمر بكري يقول لخصمه عند كل مناقشة:

هل أنت مقلد أم مجتهد؟ إما أن تكون مقلدا وإما أنك مجتهد: إثنان لا ثالث لهما.

ونحن نقلب عليه الأمر ونتوجه اليه بنفس سؤاله فنسأله:

اذا كان الأمران لا ثالث لهما فهل رسول الله مجتهد؟ إن قلتَ ليس مجتهداً لزمك القول بأنه مقلد لأنه لا ثالث للأمرين عندك!!

وماذا عنك أنت أيها المفتي؟ أأنت مجتهد أم مقلد؟ واذا كنت تعترف دائما بأنك مقلد فكيف تجتمع فيك صفة مفتي ومقلد في وقت واحد وقد قال السيوطي «لا يقلد الا جاهل»؟

فرسول الله لا يجوز أن يكون مجتهدا وأما زعيم حزب التحرير (النبهاني) فيصفونه بالمجتهد المطلق. وهو وصف كمال ينفونه عن نبينا ويثبتونه لزعيمهم. فيقال لهم: أيهما أكمل: من أوتي درجة الاجتهاد أم من حرمها؟ وهل المحروم من الاجتهاد عالم أم جاهل؟

تطبيق أمر الحاكم مقدم على تطبيق الشريعة!

ومن عقائدهم: «وجوب طاعة الخليفة فيما تبناه من الأحكام ولو خالف النص في وجهة نظر المأمور» وأن العمل جرى على ذلك في عصر الخلافة الراشدة والمسلمين الأولين»[64].

وهذا يناقض قول النبي ε « انما الطاعة في المعروف» وقوله « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق».

ويناقض ما قاله أول الخلفاء أبو بكر «أطيعوني ما أطعت الله فيكم فان عصيته فلا طاعة لي عليكم» فهؤلاء يدعون الى الخلافة ويخالفون أول ما قاله الخليفة الأول أبو بكر رضي الله عنه.

فانظر كيف قصر التحريريون الأمر على مخالفة مخالفة النص في وجهة نظر المأمور ولم يفترضوا أن تكون المخالفة هناك مخالفة حقيقية للنص وللشرع: وكأن الأمير عندهم معصوما ولا يمكن أن يكون مخطئا وانما يكون الخطأ سوء فهم من المأمور! إن هذا هو التحكم بعينه في المأمور على طريقة الصوفية «لا تعترض فتنطرد»!!!

---

[61] - **الفكر الاسلامي 76.**

[62] - **شريط الصيام 355.00**

[63] - **شريط فيديو: الخلافة: الحكومة الإسلامية**

[64] - **الدولة الاسلامية 108.**

سب العلماء خطة لضرب المرجعية العلمية

للعلماء مرتبة شريفة قررها النبي ع حين قال « العلماء ورثة الأنبياء» فمن كان وريث النبي ع فهو أعلى شأناً من ملوك الدنيا وأصحاب المناصب والجاه والمال.

وتفتقر الحركات الاسلامية قادة وأفراداً الى تعلم أدب التعامل مع ورثة الأنبياء أعني المشتهرين منهم بنشر السنة والتوحيد ليس البدعة والشرك. فقد يخطئ العالم في فتواه أو قد يتعرض لضغوط فيضعف فيطالبه الناس بالحزم والقوة ويجهلون ما يتعرض له مما لو تعرضوا له لكانوا أضعف منه.

وربما يضطر للترخص كما فعل العلماء في محنة الامام أحمد، ومع ترخصهم لم يتبرأ منهم أحمد ولم يطعن فيهم بين العوام كما يفعل اليوم من تغلب عواطفهم عقولهم، فتعلموا الجهاد ولم يتعلموا مجاهدة النفس والأدب وتعظيم ورثة النبي ولم ينزلوا الناس منازلهم، وانما التمسوا لهم العذر، وكان جل ما قالوه أنهم أخذوا بالرخصة ولو أخذوا بالعزيمة لكان أفضل لكن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء.

بخلاف المتعجلين الذين يريدون من كل عالم أن يقف موقف سيد الشهداء فيقف أمام الحاكم الجائر فيأمره وينهاه والا كان عندهم من عملاء سوء ووصفوهم بعلماء الحيض والنفاس وعلماء السلطة.

وجهل هؤلاء أن العلماء يتفاوتون في العلم والجهل والقوة والضعف، ولم يكن الثابتون على موقف أحمد الا قلة قليلة، ولو اننا اشترطنا من كل عالم أن يكون مثل أحمد والا تبرأنا منه: لما بقي لنا عالم واحد.

وربما رأى العالم أنه لو اتخذ موقفاً حاسما لأدى ذلك الى مفسدة أكبر، وقد يكون العالم مخطئا في ترجيح المصلحة على المفسدة أو ترجيح أقل المفسدتين مع كونه في غير هذه المسألة على السنة داعية اليها ناهيا عن البدعة، فموقفنا منهم أن ننزلهم منزلتهم التي أنزلها النبي ع أعني إرث النبوة.

فلا نتبرأ منهم لمجرد خطأ صدر منهم، فنعظمهم لما هم عليه من نشر السنة وتعليم العلم ولا ننال من أعراضهم ونتبرأ منهم ونحتفظ بأخطائهم لنعرضها على الناس في المجالس والدواوين كما يفعل المتعجلون المتهورون حيث يحتفظون بملفات لأخطاء كل شيخ.

واذا كان النبي ع يكتم أسماء المنافقين فلم يكن يعرفها من بين الصحابة الا حذيفة فكتمان أخطاء وزلات العلماء المعتبرين الذين يحملون راية المنهج الصحيح أولى بالكتمان من أسماء المنافقين.

واذا وجدت ضرورة لتبيين خطئه فيجب التعامل مع هذا الخطأ كما يتعامل الولد مع والده وتحفظ له مكانته ومنزلته بالرغم من تبيين الخطأ.

وهؤلاء لو أخطأ أب أحدهم لا يجاهر في تجريحه أو يطعن فيه أمام الناس لأنه أبوه والأب يجب احترامه. لكنه لا يبالي أن يجاهر بالطعن بورثة الأنبياء والتحامل عليهم والتحذير منهم.

أخطاء العلماء أقل فداحة من غيرهم

ونحن لسنا مع تقديس العلماء ولا مع من يتبرأون منهم لزلة أو اجتهاد لم يتفق معهم مخالفهم عليه. ولكن لا ريب أن خطأ العلماء المعتبرين أقل سوءا من أخطاء المتهورين ممن لا علم لهم واذا سادوا العامة هلكوا وأهلكوا، وقد كان من وصية عمر رضي الله عنه « تعلموا قبل أن تُسوّدُوا».

فخطأ المتهورين المتعجلين أسوأ أثراً وأفدح من خطأ العلماء فان عند العالم سنة يحفظها وقرآناً يستظهره يزن بهما موافقه وفتاويه.

وأقل ما في الأمر أنه يؤخرهم عن القيام ضد الحاكم مثلا لقرائن وأدلة شرعية ومصلحة يرجحها:

بخلاف هؤلاء فانهم يسقطون عند كل فتنة تقابلهم ويتخبطون بجهلهم، فلا عالم يرجعون اليه وانما يرجعون الى أرباع علماء ورؤساء جهال يفتون بغير علم فتؤدي فتاويهم الى طحن الدعوة والدعاة وتقديمهم نعاجاً وقرابين على مذابح الطواغيت - وبذلك يزيد عدو المسلمين قوة وتمكناً ويتفرد بالتأثير على العامة دون منافس. هذا ما يشهد به الواقع المرير.

إن هؤلاء المتعجلين يعلمون ما بين طريقتهم وبين طريقة أهل العلم من الاختلاف في المنهج وأن العامة إنما يسمعون عادة من العلماء لا من الجهال، فمن أجل قطع الطريق بينهم وبين العلماء واستجلابهم الى حزبهم فانهم يضطرون الى الطعن في العلماء وتجريحهم والتحامل عليهم أمام العامة، فيسمونهم « علماء السلطة» «العلماء العملاء» تنفيراً للناس منهم. حتى يختلوا بالعامة وبالتالي يوقعونهم في باطلهم دون أن يعترضهم العلماء. ولقد قال نبينا ع « ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا».

نتيجة صرف الشباب عن العلماء

وما نتيجة وضع الحواجز بين الشباب وبين علمائهم إلا الاحباط الشديد والتراجع الذي يعاني منه الشباب، فلم يزدهم هذا الحماس والتعجل الا ضعفا وتراجعا، وأصابهم الاحباط: بعد أن كان الأمل بالحل الاسلامي يملأ قلوبهم، وهذه مرحلة يريدها الكفار ليقولوا لنا بعد ذلك: ألم نخبركم بأن الاسلام ليس هو الحل وأنه لا بديل لكم وللعالم عن العلمنة!!!

والمؤلم هنا أن العلماء المطعون فيهم ليسوا بأسوأ من علماء المذاهب المبتدعة كالرافضة بل هم أفضل حالاً وأهدى سبيلاً وأقوم طريقة من علماء السوء الذين يسبح حزب التحرير بحمدهم كالخميني ومشايخ الشيعة الذي يدأب الحزب على اللقاء بهم وتدريس مذهبهم - كما يفعل عمر بكري فستق في بريطانيا - والتقليل من شأن خطورتهم ويأمل أن تقوم بهم خلافة رافضية تحريرية.

حماس وراءه الشيعة

ان إغراء الروافض لحركات التهور والتعجل والعاطفة و«الحماس» لا لوجه الله ولا لرفع راية الجهاد[65] وانما دفعاً لهم نحو حتفهم، هو كمين ينصبه الباطنيون لإنهاك قوى شباب الصحوة وهدر طاقاتهم وتضليلهم عن المسار الدعوي الصحيح وتلميع مذهب الرفض في عيون العامة، كخطوة على استعادة تحرير بلاد السنة واعادتها الى الحظيرة الباطنية والدولة الفاطمية التي حكمت العالم الاسلامي الى أن تم القضاء عليها على يد صلاح الدين الأيوبي رحمه الله.

فهذا مكر شديد يجهله الكثيرون ولكن ربما تجاهله أرباب فقه المصلحة ممن يظنون أن مسايرة أهل البدع سياسة، وهي سياسة لم ينتهجها السلف الصالح. بل كان موقفهم منهم دائماً صريحاً حرصاً على العامة من الانخداع بهم وحتى لا يقال: اذا كان الاسلاميون يثنون على مذهب الروافض وينادون بالتوحد معهم فالروافض على حق وليس ثمة فرق بيننا وبينهم الا شدة محبتهم لأهل البيت! فالاضطرابات السياسية ليست شيئاً جديداً وقد كانت في عهد أحمد ومالك والشافعي وأبي حنيفة ولم يتحالف منهم أحد مع حامل لواء بدعة من أجل تحقيق مصلحة سياسية مزعومة!

هؤلاء لا عدل عندهم فكيف يكونوا مؤهلين لقيادة الناس الى نشر دين العدل وهم يفتقرون الى العدل؟

أي الخطأين أشد: علماء أهل السنة أم الروافض الذين تلتقون بهم وتتناسون عداءهم لصحابة النبي واتهامهم بالردة والخيانة؟

---

[65] - **الروافض يرون أفضل الجهاد جهاد النواصب.**

الكذب لا يقيم دولة الخلافة

من هو عمر بكري؟

ولقد ارتكب الحزب خطأ باستخدام رجل اسمه عمر بكري فستق (سوري الأصل من مدينة حلب لبناني حاليا) للترويج للحزب تحت شعار مفتي حزب التحرير بالرغم من جهله الظاهر باللغة العربية عامة وبالقرآن الكريم خاصة: قراءة وفهماً وتطبيقاً، وجرأته على الفتوى.

وهو متعالم وصاحب دعاوى، ودليل ذلك ما زعمه في كتابه ***Essential Fiqh*** (أصول الفقه) أنه تخرج من جامعات عديدة أهمها جامعة أم القرى في مكة والجامعة الاسلامية في المدينة وجامعة الأزهر في مصر وكلية الشريعة في دمشق.

وقد استخف جماعة من العجم في بريطانيا. وهو يعلم ما لكلمة مكة والمدينة عند العجم من تعظيم ولذلك زعم أنه قضى حياته العلمية يتنقل بينهما.

على أن سيرته غير مجهولة، فانه خلال مكوثه في المملكة لم يطلب العلم في شيء من جامعاتها ولكنه كان موظفا في شركة كهرباء الشرق لصاحبيها شمسان وعبد العزيز الصهيبي في الرياض. ثم انتقل الى فرع الشركة بجدة. ولم يقترب خلال فترة مكوثه هناك من أي جامعة ثم طار الى أمريكا لأشهر يتعلم الانجليزية، ثم هبط فجأة الى لندن وتقلد منصب مفتي الحزب.

ونحن نذكر تاريخه بكل ثقة ونطالبه بإبراز شهاداته من جامعتي أم القرى بمكة والجامعة الاسلامية بالمدينة ان كان صادقا.



صورة من كتاب **Essential Fiqh** وفيه يدعي عمر بكري أنه متخرج من أربع جامعات اسلامية.

وهو يقرب الناس من التشيع لا سيما في مدرسته التي يقيم الدروس الفقهية فيها على المذهب الجعفري، وهذا كاف في زعزعة الثقة فيه، ويزعم أن الجعفرية من جملة طوائف أهل السنة والجماعة، وأن رسول الله ε كان ينادي عند الأذان (حي على خير العمل) وهو في نفس الوقت كثير الطعن في الدعوة السنية ذات النهج السلفي وينعتهم بالوهابيين.

ويتحامل على من لم يقولوا بتحريف القرآن ولا سبوا الصحابة ولا اتخذوا أهل بيته أربابا ولا قالوا بالمتعة ولا بالتقية ولا ينتظرون مهديا آخر ولا طعنوا في كتب الحديث وكذبوها كالبخاري ومسلم: فهل من يسميهم وهابية أكفر وأخطر عنده من أولئك؟ هل هم عنده شر من الروافض؟

ان سرور الحزب بما يفعله عمر بكري من تضليل للبسطاء لعامل جهلهم باللغة هو سقوط وافلاس في الحقيقة حتى قال البعض: زهد أبناء العرب في الحزب فراح يجرب حظه لعله يجد زبائن له بين من لا يفهمون لغة العرب.

وليحكم حزب التحرير بما أنزل الله

وقد طعن حزب التحرير بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب واتهم الوهابية بالعمالة للانجليز والاجرام وبالمسؤولية عن سقوط الامبراطورية العثمانية. وزعم عبد القديم زلوم « أن انجلترا أمدتهم بالسلاح والمال واندفعوا على أساس مذهبي يريدون الاستيلاء على كربلاء وعلى قبر الحسن وأنه لما سقطت المدينة بأيديهم خربوا القباب الضخمة التي تظلل رسول الله ε... وكان معروفاً أن هذه الحملة الوهابية عمل انجليزي»[66].

قلت: هل هذا معروف عنده بخبر آحاد أو متواتر أم أن الراوي نصراني مغرض؟ اعتمدوا أكذوبته وتناسوا شروط الرواية أن تكون عن ثقة فأخذوها عن نصراني اعترف بأنه كان جاسوسا! وهل صار الجاسوس عندكم ثقة عدلا ومعتمد الرواية؟ قد أمركم الله اذا جاءكم فاسق بنبأ أن تتبينوا فأخذتم بخبر آحاد النصارى في حق أخ مسلم من غير تبين!

فهذا الحزب الذي اشتهر بمطالبة الحكام بتحكيم شرع الله مطالب هو بدوره أن يحكم شرع الله فيحكم بين الناس بالعدل وليذكر كيف كانت الخلافة في عهد علي رضي الله عنه قبل أن تشوش عليها عوامل الشائعات التي لفقها أناس وتأثر بها ضعاف النفوس.

---

66 - **كيف هدمت الخلافة ص 10-12 لعبد القديم زلوم ط: 1962.**

جـهـلـه بـالـقـرآن تـلاوة وفـهـمـا

واليكم مثالا على جهل بكري بالشريعة التي يطالب هو الحكامَ بتطبيقها وهو لا يعرف شيئا عنها، وسنورد جملة من الآيات التي قرأها وهي مسجلة بصوته.

وأنبه الى أني لست ألتقط له أخطاء عفوية يمكن حتى للماهر بقراءة القرآن أن يقع فيها وانما أذكر نماذج لأخطاء كثيرة فاحشة تتكرر ربما في الآية الواحدة وتكثر جدا في المحاضرة الواحدة، وهذا ما جعلني أحكم عليه بأنه جاهل حتى بتلاوة كتاب الله، فانه لا يمكن لمن تخرج من أربع جامعات (كلية الشريعة والأزهر وجامعة أم القرى بمكة والجامعة الاسلامية بالمدينة أن تكثر عنده هذه الأخطاء.

- ثم على العرش استوى. (شريط عذاب القبر).
- ان يتبعون الا الظن والهوى. (شريط عذاب القبر).
- فذرهم حتى لا يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون (شريط عذاب القبر).
- فلا تخشوا الناس واخشوني (قرأها بضم الشين في الكلمتين).
- ومن يكفُرُ بالايمان فقد حبط عمله (قرأها بضم الراء) (فيديو تفسير المائدة الجزء الثاني11.11).
- طلقتم النساء (قرأها بكسر الميم) (تفسير المائدة الجزء الثاني23.20)
- ولكم في رسول الله أسوة حسنة (يكرر نفس هذا الخطأ كثيرا) (فيديو تفسير المائدة الجزء الثاني38.15).
- وانما امتكم امة واحدة (تفسير المائدة 114.05/2 الصيام245.00).
- وطعام الذين أوتوا الكتابِ حل لكم (قرأها بكسر الباء) (فيديو تفسير المائدة الجزء الثاني239.30).
- ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتَهُن (قرأها منصوبة بدل الجر) (فيديو تفسير النور الجزء الثاني109.08).
- أو التابعين غير أولي الإرِبَة (بفتح الراء) (تفسير النور 127.20/2).
- يا أيها الذين آمنوا لَيستأذّنكم (بشد النون) الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلَغُوا (بفتح اللام) الحلم منكم (فيديو تفسير النور 131/2).
- من المؤمنين رجالاً صدقوا ما عاهدوا الله عليه (أبو حنيفة»1.43).
- ولا تفرقوا كما تفرق الذين من قبلكم (فيديو الهدف الاسلامي0.45).
- إن هي إلا حياتَنا (بفتح التاء) الدنيا (فيديو الهدف الاسلامي24.12).
- فإذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم (بكسر الياء) (فيديو الهدف الاسلامي45.25).
- قل فأتوا بسوراً (بنصب الراء) من مثله (شريط الفقه 20.03).
- وشاورهم بالأمر وإذا عزمت (شريط الفقه 202.45).
- وفي أنفسكم أفلا تنظرون (فيديو جهاد محمد46.42).
- إن ينصرُكم (بضم الراء) الله فلا غالب لكم (جهاد محمد135.15).

فإما تَرَيِّن (بفتح الياء) من البشر أحد فقولي (شريط الصيام200.00) .

- قل أتعبدون ما تنحتون (شريط الصيام330.00).
- أو لامستِم (بفتح الميم) النساءِ (بكسر الميم) (شريط الصيام444.00).
- والزاني والزانية فاجلدوا كل واحد منهما مَائَة (بفتح الميم وزيادة ألف) جلدة (شريط الصيام392.00)..
- ولا تنكحوا ما نكح آباءكم من النساء (بفتح الهمزة) (فيديو تفسير المائدة 7.10/2).
- ذوي عدل منكم (قرأها بكسر الواو) (فيديو تفسير المائدة 9.30/2).
- ولا تبرجن تبرج (بكسر الجيم) الجاهلية الأولى (تفسير النور 21.30/6).
- بل هم كالأنعام (شريط جهاد محمد 47.40).

كيف يفهم بكري القرآن والسنة

وله تفاسير عجيبة للقرآن:

* زعم أنه يفهم من قوله تعالى (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) أنه لا بد أن يكون الكفار من أهل الكتاب أعضاء في مجلس الأمة. لأن أهل الذكر هم أهل الكتاب وزعم أن الذين نفوا ذلك أخطأوا. قال « يحق للذمي أن يكون عضوا في مجلس الأمة لأن النبي كان يستشير الكفار». وكأنه لا يعرف آية في القرآن يقول الله فيها (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً) [آل عمران 118].

وهكذا فهم هذا العالم النحرير من كلام ربنا أن يدخل اليهود والنصارى في البرلمان!!

لست أدري لو قدر الله - لا سمح الله - أن يتسلم أمثال هذا قيادة المسلمين ماذا كان سيحل بالأمة.

* زعم أنه يحق للمرأة أن تكون عضوا في البرلمان مستدلا بحادثة فتح الحديبية حينما دخل النبي ε على أم سلمة مغضبا لأن الصحابة كرهوا أن يعودوا من غير أن يدخلوا مكة، فأشارت عليه أن يخرج ويفعل ما يريد ليفعلوا مثله ففعل. قال بكري « مما يدل على أنه يجوز للمرأة أن تكون عضوا في البرلمان».

زعم أن الفقهاء فهموا ذلك. غير أنه لم يفقه من دخول النبي ε الى داخل خيمة أم سلمة شيئاً فلماذا لم يخرج بها الى حيث مجلس الشورى من الرجال.

* زعم أن آية (يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) يظن الناس أن المقصود منها دعوة المسلمين. هذا عجيب يقول بعضهم (دعوة للمسلمين)، هذا غير صحيح، الدعوة تكون للكفار فقط. كيف تدعو المسلمين!!![67].

فهؤلاء لا يرون في المسلمين عيباً ومنكراً يجب النهي عنه، وعلى قولهم لم يكن لعلي رضي الله عنه أن يقاتل الخوارج وينهاهم عن منكرهم وانما كان عليه أن يكتفي بدعوة الكفار فقط!!

ولكن لماذا تتعرض هذه الأمة للمذلة وتسلط العدو؟ أليس لذلك سبب أفيجوز الاعتقاد أن الله يعذب من يشكره ويؤمن به وهو الذي قال (ما يفعل الله بعذابكم أن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما).

---

67 - الهدف الاسلامي250.00.

كيف يتعامل بكري مع السنة؟

زعم أن رسول الله ε سأل الجارية « أين الله» فقالت « في السماء» فلما قام الصحابة حينئذ ليضربوها قال دعوها إنها مؤمنة[68] وهذا كذب على النبي ε. كيف زعم أن الصحابة قاموا ليضربوا امرأة وافقت قول الله (أأمنتم من في السماء).

وقد طولب كثيرا بالاتيان بمصدر هذا الحديث فوعد خيرا ولم يف بوعده، وكأنه يظن أن الصحابة معتزلة أم أشاعرة؟ أين الإسناد أو يظن أنه يكذب على لسان رسول الله ε وأصحابه ولا يسلط الله عليه من يطالبه بالسند؟ أم يظن أن المستمعين أعاجم فقط ولن يفطنوا للكذب؟

* زعم أن عائشة أخطأت حين قالت أن النبي ε لم يكن يصافح النساء ولكن الصحيح أن النبي ε كان يصافح النساء. وهذا افتراء على عائشة وكذب على رسول الله ε. فقد جاء في حديث اميمة حين جاءت النساء يبايعنه " اني لا أصافح النساء انما قولي لمئة امرأة كقولي لامرأة واحدة"[69].

[68] - شريط الفقه 224.35.

[69] - رواه ابن حبان (14) والترمذي (1597) والنسائي (149/7) وابن ماجة (2874).

خبر الواحد خير من أخباركم الموضوعة

ومن يتابع دروس ومؤلفات نفاة خبر الواحد في العقيدة يجدها محشوة بالضعيف والموضوع من الروايات مما هو أسوأ من خبر الواحد. مثال ذلك:

- زعم أن النبي كان ينادي في الأذان«حي على خير العمل» [70].
- زعم أنه ع قال « رحم الله امرءاً أهدى إليَّ عيوبي»[71].
- زعم أنه ع قال « لو كان العلم معلقاً عند الثريا لتناوله رجال من فارس». زعم أن البخاري ومسلم قالا: هذا الحديث يتناول الإمام « أبو» حنيفة [72].
- زعم أنه ع قال « من لا يتقي الله لا غيبة له[73].
- وأنه قال «إذا رأيتم العالم على باب الحاكم فاتهموه في دينه»[74].
- زعم أنه ع قال « من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله»[75].
- زعم أنه ع قال « من قال أنا عالم فقد جهل».
- زعم أنه ع قال « رحم الله امرىءٍ جب الغيبة عن نفسه»[76].
- زعم أنه قال «من أصبح ولم يهتم بأمر المسلمين فليس مثلهم»[77].
- زعم أنه ع قال «النكاح سنتي، فمن رغب عني رغب عن سنتي، ومن رغب عن سنتي فقد حُرِمَ شفاعتي يوم القيامة»[78]. ولو صح لكان فيه حرمانه وحزبه من شفاعته ع لأنهم يرغبون الناس عن خبر الواحد وغالب السنة منه.
- زعم أنه ع قال « من صلى جنبا فقد كفر» فهو وحزبه يلبسون ثوب الغيرة على الحديث والحرص على قطعي السند وأكثر الأحاديث التي يذكرها من الضعيف بل والموضوع.

ولقد أثار هو وحزبه شغبا وفتنة كبيرة بين عوام الأعاجم حول أحاديث الآحاد وسيأتي الكلام حوله بالتفصيل.

وهذه الدندنة حول خبر الواحد ليست نابعة من الحرص على تنقية السنة من الأسانيد الباطلة والضعيفة بقدر ما هو تعصب لباني الحزب يصحبه تعالم ودعوى وليس في الحقيقة تقليدا للشافعي ولا لمالك ولا لأحمد ولا لأبي حنيفة.

---

70 - **تفسير سورة النور - فيديو 217.50.**
71 - **فيديو الهدف الاسلامي154.30.**
72 - **شريط فيديو أبو حنيفة 10 ,27.**
73 - **فيديو «أبو حنيفة الامام الأعظم 158.45.**
74 - **تركتها كما قالها. فيديو: أبو حنيفة الامام الأعظم240.00.**
75 - **أبو حنيفة الامام الأعظم18.17.**
76 - **أبو حنيفة الامام الأعظم159.00 (شريط فيديو).**
77 - **الهدف الاسلامي48.00 (شريط فيديو).**
78 - **الهدف الاسلامي247.40 (شريط فيديو).**

غرائب أقواله

- اعترف أن التفرق حدث بين المسلمين لأنهم استخدموا عقولهم في أمور العقيدة[79].

وهذا يتناقض مع النزعة العقلانية عند الحزب الذي ينتمي اليه. ويتناقض مع قوله في محاضرة أخرى « مصدر إيماننا هو العقل، وأنا لا أسمح لأي مسلم أن يقنعني أنه يستطيع أن يأتي بدليل من القرآن يثبت وجود الله، إذا لم يستطع إثبات وجود الله بالعقل فلا قيمة له. لا تقل لي أبداً قال الله قال الرسول قل: قال عقلي»[80] وقال « من جاءني يطلب مني الدليل على وجود الخالق لا يجوز لي أن آتيه بأدلة من القرآن ولكن آتيه بأدلة عقلية». وهؤلاء يجترئون على تقديم عقولهم على أدلة الوحي لكنهم لا يجرؤ أحدهم أن يقول: اذا تعارض العقل مع قول شيخي قدمت عقلي على قوله!!!

- زعم أن من جعل الربا حلالاً يكفر كفراً أصغر[81].
- زعم أنه يجوز للرجل أن يقلد الرسول ε في لباسه ولكن لا يجوز له أن يقول: أنا أتبع سنة النبي ε فاذا قال ذلك وجب على الخليفة أن يعاقبه بالجلد، لأنه يدعي أن هذه سنة[82].
- زعم أنك إذا توضأت من أجل قراءة القرآن فأنت آثم[83].
- زعم أن الاذان والإقامة ليستا عبادة[84].
- زعم أن عمر ضرب رجلاً لأنه قال يا رب أنا عويبدك [مصغر عبدك] وأمر بضربه أربعين جلدة[85].
- زعم أن أبا حنيفة كان يحب الشيعة العلويين[86]. وأن معظم شيوخه من المذهب الجعفري العلويين شيعة الإمام علي كلهم من المذهب الشيعي.
- زعم أن الحكم الشرعي مبني على مجموعة من الظنون[87].
- زعم أن العلماء قالوا نؤمن بالله، نؤمن باليوم الآخر: نصدق بعذاب القبر، نصدق بالمعراج (أي تحرزوا من قول نؤمن بعذاب القبر وبحادثة المعراج)[88]. وقد قال أبو حنيفة رحمه الله « وخبر المعراج حق فمن رده فهو ضال مبتدع»[89].

زعم أن قول الله (أقيموا الصلاة) لا تدل على الوجوب بذاتها، لو قلنا إن الأمر يفيد الوجوب لاضطربت الأحكام واختلط الحابل بالنابل، فالله يقول (وإذا حللتم فاصطادوا) فالصيد ليس واجباً بدليل قوله تعالى (فكلوا واشربوا)[90].

وفي الحقيقة هو المختلط فإن اقتضاء الأمر للوجوب هو مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي وعامة الفقهاء ولا يحمل على غيره الا بدلالة. وأما احتجاجه بقوله تعالى (واذا حللتم فاصطادوا) فقد ذكر أهل العلم أن ما كان محظوراً ثم جاء النص بإباحته عاد الى الاباحة الأصلية التي كان عليها قبل الحظر كقوله تعالى (فالآن باشروهن).

ونرد عليه من خلال ما نص عليه أحد كبار الأشاعرة القدامى وهو أبو منصور عبد القاهر البغدادي رحمه الله حيث قال بأن: [91] «أقسام الأمر ثمانية أولها الوجوب ويصرف عنها بدلالة الى الترغيب والندب والاباحة كقوله تعالى (واذا حللتم فاصطادوا). قال: وناقضت القدرية [أي المعتزلة] في فرقها بين الأمر والنهي لأنها سلمت لنا [أي الأشاعرة] أن النهي يقتضي تحريم المنهي عنه وزعمت أن الأمر لا يقتضي وجوب المأمور به» انتهى.

فها قد شهد أشعري قديم على أن قول عمر بكري هو عين قول المعتزلة، وقد اتفق الأشاعرة والماتريدية على أن المعتزلة من أضل الفرق التي ظهرت بين المسلمين.

---

79 - تفسير المائدة 29.00/2.

80 - شريط الديمقراطية الاشتراكية، تشريع الإنسان رقم 35,32.

81 - فيديو 232.00 تفسير المائدة.

82 - تفسير النور46.27/6.

83 - تفسير المائدة 2/ 205.15و247 (فيديو).

84 - تفسير المائدة 206.00 (فيديو).

85 - تفسير النور 228.00/6 (فيديو).

86 - شريط فيديو (أبو حنيفة الامام الأعظم 56.05).

87 - الهدف الاسلامي144.20 (فيديو).

88 - الهدف الاسلامي233.50 (فيديو).

89 - الفقه الأكبر ص 92.

90 - شريط الصيام 104.00.

91 - أصول الدين ص 215.

الاجتهاد حرام على الرسول ε

زعم أن الرسول ليس مجتهدا ولا يجوز له أن يجتهد لآن الاجتهاد يحتمل الصواب ويحتمل الخطأ. وهذا يتعارض مع ما قاله العلامة الحنفي الشيخ ملا علي قاري «ثم اعلم أن للأنبياء عليهم السلام أن يجتهدوا مطلقا وعليه الأكثر أو بعد انتظار الوحي وعليه الحنفية واختاره ابن الهمام في التحرير واذا اجتهدوا فلا بد من اصابتهم ابتداء وانتهاء كما في المسايرة»[92].

وقد تقدم أن عمر بكري يقول لخصمه عند مناقشته: هل أنت مقلد أم مجتهد؟ إما أن تكون مقلدا وإما أنك مجتهد: إثنان لا ثالث لهما.

وحينئذ نسأله عين السؤال الذي يسأله فنقول:

اذا كان الأمران لا ثالث لهما فهل كان رسول الله مجتهداً؟ إن قلتَ ليس مجتهداً لزمك القول بأنه مقلد لأنه لا ثالث للأمرين عندك!!

الرسول ε يجب عليه طاعة أصحابه!!

وحين تكلم عمر بكري عن مسألة الشورى ابتدع بدعة غريبة مثيرة للعجب. فقد أتى بتفريق بين الشورى والمشورة زعم أن المشورة هي أن يرى أهل الشورى رأيا يلزمون به الحاكم. قال: ولذلك ألزم الصحابة رسول الله أن يطيعهم في رأيهم فمع أنه رأى رأيا يخالفهم ولكنه مجبور أن يخالف رأيه ويطيعهم.

وزعم أن النبي ε قال للصحابة «ما اتفقتما عليه ما خالفتكما».

والجواب:

أولا: هذا جرأة وتطاول على الأنبياء وتناقض حين زعم هو وأقطاب التحريريين أنه لا يجوز في حق النبي أن يكون مجتهدا لأن ما يقوله وحي من عند الله. فان كان الأمر كما زعم فقد جعل الرسول من جملة من يتبعون غير سبيل المؤمنين اذا هو خالفهم. ثم بما أن الرسول لا يجتهد وانما هو (وحي يوحى) فقد جعل وحي الله موقوفا مشروطا على موافقة الصحابة له، فان رأوا أمرا خالفهم الرسول فيه لزمه الغاء الوحي وطاعتهم.

ثانيا: قد اعترف بكري أن الرسول اجتهد في أول الأمر في شأن عذاب القبر فانكر عذاب القبر أولاً واتهم المرأة اليهودية بالكذب وأنه لا عذاب قبل يوم القيامة ثم بعد أيام غير موقفه فأثبت عذاب القبر وأمر بالاستعاذة منه؟

والسؤال: ألم يكن انكاره في أول الأمر اجتهادا ثم أراه الله ما لم يكن يعلم فغير موقفه؟

وماذا عن سورة عبس وتولى. وقد رد الله اجتهاده. وعن قوله تعالى (وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) وقوله (عفا الله عنك لم أذنت لهم) فإما أن يكون ذلك اجتهاداً منه وإما يكون الله عاتبه على ما أوحى اليه!

* وقد نشر الآفة التحريرية حول عذاب القبر، فزعم أنه يصدق بعذاب القبر وبالمهدي ولكنه لا يؤمن بعذاب القبر ولا بالمهدي (نصدق ولا نؤمن) (تصديق بلا ايمان)!

(WE TRUST BUT WE DO NOT BELIEVE)

وقال: أنا أحثكم على التصديق بعذاب القبر بمجيء المهدي ولكن من آمن بذلك فهو آثم.

وتسمية هذا تصديقاً ليس من خصال الصادقين، والأحرى أن يسمي تلاعباً ومراوغة وليس تصديقاً، بل هو تصديق مشكل شبيه بمشكلة الكسب عند الأشعري والطفرة عند النظام والأحوال عند أبي هاشم.

وقد سخر بكري ممن اعتقدوا بالمهدي قائلا: أي مهدي تقصدون: المسيح أم الخلفاء الراشدين المهديين أم المهدي المنتظر الذي عند الشيعة؟

ولكن ربما كان يعني بكري مهدي الرافضة الذين يعطي دروسا على فقههم الجعفري: الذين يزعمون أنه غاب في السرداب منذ ألف وأربعمئة سنة وما زال فيه حيا يأكل ويشرب. وهو ينتظر لحظة الخروج ليبعث الله له أبا بكر وعمر وعائشة وسائر الصحابة ليقتلهم من جديد. فليسأل بكري من صاهرهم: كيف يقبلون في مذهبهم عقيدة كهذه ؟!

وهذان الموضوعان (عذاب القبر والمهدي) سيأتي الكلام حولهما بالتفصيل.

---

[92] - **الفقه الأكبر بشرح قاري 112.**

حول موضوع اللحية

زعم أن الجمهور على أن اطلاق اللحية مندوب. وليس المهم البحث حول وجوب اللحية ولكن لماذا يكذب على لسان الجمهور وقد أمرنا الرسول ε بمخالفة أهل الكتاب فقال « خالفوا اليهود والنصارى: قصوا الشارب وأطلقوا اللحى»[93].

ومخالفة اليهود والنصارى واجبة وليست مستحبة كما أن موافقتهم محرمة وليست مكروهة. قال ابن حزم الأندلسي « واتفقوا على أن حلق اللحية مثلة لا تجوز» وقال ابن عابدين - من الحنفية - «ويحرم قطع اللحية»[94].

وقال العدوي من المالكية « يحرم ازالة الشعر من اللحية "[95].

وقال السفاريني - من الحنابلة - « المعتمد في المذهب تحريم حلق اللحية» وقال ابن تيمية « ويحرم حلق اللحية »[96].

---

[93] - أنظر كتاب (اعلام الموقعين 39/1-43 بدائع الفوائد 6/4) وفيهما أن القول بوجوب اطلاق اللحية هو قول جمهور العلماء.

[94] - مراتب الاجماع 157 حاشية ابن عابدين 418/2.

[95] - حاشية العدوي على رسالة ابن ابي زيد 411/2.

[96] - الاختيارات العلمية 6 غذاء الألباب 376/1.

حزب التحرير ومسألة الخلافة

دغدغة العواطف حق يراد به باطل

الجهاد * الخلافة * الحاكمية * الوحدة * تنزيه الله * ذكر الله

ما أجملها من كلمات حقة ولكن ما أكثر ما قد تطلق ويراد بها باطل. وكثيراً ما تكون الشعارات المدغدغة للعواطف وسيلة في التضليل. وهل خدع القساوسة عوام النصارى وعلموهم الشرك إلا بدغدغة العواطف؟

فالصوفية يدغدغون العواطف تحت شعار الذكر فمن استجاب لهم علموه بدع التمايل والتصفيق والرقص باسم الذكر. ومن أنكر ذلك قالوا له: أنت تكره ذكر الله وتكره الصلاة على رسوله.

وآخرون يدغدغون عواطف المسلمين تحت شعار الجهاد فمن استجاب لهم شغلوه بالغنائم والسبايا باسم الجهاد وبدأوا بجمع الغنائم من غير قائد يقسمها بينهم بالسوية!

وإذا جاز سرقة أموال الكفار جاز وطء نسائهم.
وإذا جاز الأمران جاز قتل رجالهم وأخذ الربا منهم كما عند الأحناف.

ولكن: أين الذين يحملون شعار توحيد الله أولا، وصيانة دينه من البدع ويوالون ويعادون على ذلك؟ أين الخلق الاسلامي الذي يراه الكافر في المسلم والذي بسببه دخل كثيرون في الاسلام في الماضي؟

هؤلاء لا رحمة عندهم يريدون سلب ما عند الكافر من دنيا، وأن يغادرها كافراً الى جهنم وكأنه لا يستحق أن يكون مسلماً!

ومن أنكر عليهم قالوا: أنت تكره الجهاد.

والوحدة شعار يستخدم في تمييع عقيدة المسلمين والاخلال بمواقف الولاء والبراء ومداهنة طوائف وفرق الشرك والبدع ومزج السنة بالبدعة تحت ذريعة وحدة الجهود لمواجهة العدو المشترك.

والخلافة اسم آخر مناسب لدغدغة العواطف جعل التحريريين يطالبون الخميني أن يكون خليفة المسلمين ويجيزون طلب النصرة من المشركين وشككوا عوام المسلمين بأحاديث الآحاد التي حكى الشافعي اجماع الأمة على قبولها. وبعذاب القبر وبنزول المسيح وظهور المهدي. وحرموا على النبي ε أن يكون مجتهدا. وأجازوا تقبيل المرأة ومصافحتها والنظر الى صورها؟

فاذا أنكر عليهم منكر قالوا: هذا ليس وقته ولا يليق بك التفرغ لفتح هذه الأمور المفرقة للوحدة أنت فتان تعمل على تفتيت الأمة ولا تريد للمسلمين استعادة خلافتهم أنت عميل تعمل لحساب أعداء المسلمين.

توحيد الله هو الغاية أم الخلافة؟

الخلافة أم التوحيد؟ أيهما الغاية وأيهما الوسيلة. وهل خلق الله البشر ليوحدوا صفوفهم أم خلقهم ليعبدوا الله وحده.

والمطلع على منهج حزب التحرير يلحظ شغف الحزب بموضوع الخلافة. ولا يرى مأساة للأمة غير ضياع الخلافة وكأنه لا يرى ضياع عقيدتها وتوحيدها والذي كان السبب المباشر لضياع خلافتها.

ولقد بلغ الغلو بالحزب أن جعلوا كل عمل اسلامي موقوفاً على عودة الخلافة، وعندهم لا تقوم قائمة حتى يأتي الخليفة فقد قال عمر بكري « في غياب الخليفة لا يوجد شيء اسمه قضاء» [97].

وما من شك في أن الخلافة مطلب مهم وأساسي في الأمة لتعود لها سيادتها، ولكن مع أهميتها فانها وسيلة لتحقيق التوحيد الذي هو الغاية التي خلق الله البشر لأجلها، ولا يجوز إهمال الدعوة الى التوحيد حتى وإن فقدت الخلافة، ولا يجوز تقديمها عليه، ولا يجوز جعل الغاية وسيلة والوسيلة غاية. هذا قلب لسلم الأولويات ومخالفة لمنهج النبوة. ولا يجوز ايقاف العمل لهذه الغاية حتى تتحقق الوسيلة. فان الخلافة تمكين: والتمكين مكافأة ربانية لالتزام المجتمع بأمر الله، والتمكين له شرطان (يعبدونني لا يشركون بي شيئاً).

المهم في الخلافة أنها خادم تخدم الدعوة الى التوحيد ـ أهم أنواع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي تحتاجه البشرية جميعها.

ولئن كان الحزب ينطلق من مبدأ الآية (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) كما زعموا. فلعلموا أن التوحيد أول وأعظم أنواع المعروف كما أن الشرك أعظم أنواع المنكر.

هل هذا الحزب أمار بالمعروف نهاء عن المنكر

ولقد عهدنا الحزب يتخذ من الآية شعاراً يؤجل كل شيء حتى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الى وقت قيام الخلافة.

عهدناهم اذا أمرنا بمعروف أو نهينا عن منكر يقولون:

دع الحديث عن هذه الأمور حتى تقوم الخلافة، لأن الخليفة اذا قام سوف يغير كل هذه المنكرات بجرة قلم.

فاذا قامت الخلافة نهوا أيضا عن التحدث حول هذه الأمور لأنها قد تفرق وحدة المسلمين وتهدد بزوال الخلافة. وهكذا تقوم الساعة ولا يقوم أمر بمعروف ولا نهي عن منكر.

ونحن لا ننتقد على الحزب اهتمامه بالسياسة. ولكننا ننتقد عليه انشغاله بالسياسة على حساب الأمور المهمة الأخرى. وننتقد عليه قفزه من التكوين الى الخلافة واقتداءه بالحركات التحررية القومية، فان التحريريين نظروا الى سقوط الكنيسة فرأوا أن رجال الفكر هم السبب في سقوطها، وسبب تمكنهم كونهم أصحاب فكرة وأن الفكرة تحدث انقلابا كما حدث للفكر حين هاجم الكنيسة.

---

[97] ـ شريط الصيام 0.25.

ضرورة دراسة السيرة النبوية

الحزب يفتقد مرحلة التربية والعبادة وهو الهدف الذي تفرغ له النبي ثلاث عشرة سنة في بناء لبنة المجتمع الجديد.

وهذا سر في فشل الحركات الاسلامية عند بداية الطريق، ذلك أنها لا تأخذ بالاعتبار أهمية الإعداد التربوي لأنها تأصلت على التعجل وارتقاب أسرع النتائج بأقرب الأوقات.

والمشكلة مع الحركات الاسلامية أنهم لم يقدروا لهذا العدو قدره وأنه يتخذ أشكالا متنوعة في مواجهته للايمان وأهله تارة بالبطش إن تمكن وتارة بالمنافقة إن ضعف. ويتخذ سائر أنواع الترهيب والترغيب التي لا يصبر عليها الا من تربى التربية الايمانية الصحيحة الموافقة للتربية النبوية للجيل الأول من سلف هذه الأمة. هذه التربية التي أنتجت رجالا يقدر الواحد منهم بأمة يعز وجود أمثالهم في التاريخ.

وغفلوا حقيقة ارتباط ملة الكفر من الداخل بإخوانهم من الخارج وأن الذين في الداخل ليسوا هم العدو الوحيد الذي اذا قضينا عليه استتب الأمر لنا فهذه بدائية في العمل السياسي انطوى عليها كثيرون ممن يدعون فقه السياسة.

ان في دراسة السيرة النبوية حلا لكثير من المآزق التي نواجهها اليوم. لنعرف كيف كان الموقف النبوي تجاه الكفر البطاش في أوائل الدعوة وكيف كان موقفه من الكفر المنافق المتربص في أوج الدعوة.

لا وقت للتباكي على سقوط الخلافة

قبل البكاء على الخلافة يجب أن نفكر لماذا أذن الله بهدمها مع وعده بالنصر كقوله (وان جندنا لهم الغالبون). وانما يريد الله منا أن نغير ما أفسده الأوائل من البدع والشركيات لا يكفي أن نذرف الدمع على ذهاب الخلافة ولكن يجب أن نأخذ العبرة. ونتدارك الأخطاء للمستقبل.

ففي غزوة أحُد عصى الرماة الرسول حين أمرهم بملازمة الجبل ولم يفعلوا فوقعت المصيبة (أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير) تركوا منازلهم وأولادهم وأزواجهم وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ثم يخطئون خطأ صغيراً بالنسبة لأخطاء المسلمين اليوم. ومع ذلك فتأتي العقوبة وتنزل المصيبة ليتعلم من يأتي بعدهم أن الأصل بقاء وعد الله بالنصر والتمكين وأن الذنوب تأتي أمراً طارئاً توقف الوعد وهي حالة استثنائية. ولو بقيت الطاعة لبقي الوعد سارياً.

سنن كونية يتحدث عنها القرآن

وهذه نصوص قرآنية تؤكد أن ما أصابنا هو ضريبة تدفعها الأمة ثمناً للذنوب والإعراض الذي ساد في أكثر أبنائها: قال تعالى:

(وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم) وهؤلاء دأبهم: وما أصابكم من مصيبة فبما كسب عدوكم.
(فكيف اذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم).
(فان تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم).
(وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الانسان كفور).
(ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولاً فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين).
(كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون).

وكان من دعاء العباس يوم الاستسقاء « اللهم ما نزل بلاء الا بذنب وما رفع الا بتوبة».

فحصر الجريمة باعداء المسلمين تغافل وتجاهل للسبب الأول الذي تسبب في هزيمة وتمكن عدو...الخ.

والحل هو التوبة والعمل الجماعي على إصلاح ما فسد في المسلمين (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب).

لماذا هدمت الخلافة وليس كيف!

وقد أجاد الأستاذ عبد القديم زلوم (التحريري) في بيان كيف هدمت الخلافة بتفصيل دقيق. غير أنه لم يبحث لماذا هدمت الخلافة، وسكت عما شاب أمة الحق من الباطل الذي آل بها الى هذا الحال.

إن البحث عن سبب هدم الخلافة أولى وأجدى من البحث عن كيفية هدمها، حتى نتدارك الخطأ الذي تسبب في هدمها.

وفي هذه المصائب خير للأمة من الناحية الأخرى، فهي إنذار من الله وتعجيل دنيوي في العقوبة، ودفع لنا بالعودة اليه، فلذلك هي رحمة. وإلا: فلو شاء لتوفانا على هذه الحال وختم لنا بهذه الخاتمة.

مــتـى الـخلافـــــة

ويتوقع حزب التحرير أن يتسلم الخلافة مكافأة على تشكيكه بالسنة؟ وعرض الخلافة على الخميني وأن يبسطوا اليه أيديهم لمبايعته على المنشط والمكره.

وفاتهم أن الخلافة القادمة تكون علي منهاج النبوة، ومنهج الخميني مخالف لمنهاج النبوة، ثم ان الخميني لم يبال بوفد الحزب الذين قابلوه ليعرضوا عليه هذا الأمر حتى وإن أثنى الحزب عليه وعلى كتابه الحكومة الاسلامية.

فان الخلافة يجب أن تقوم عند الخميني على منهاج نصير الدين الطوسي سفاح بغداد ومحمد ابن العلقمي: الرافضيان اللذان [98] تسببا في قتل مليوني مسلم وتسليم بغداد الى التتار، ولا يستحيي الخميني من الثناء على الطوسي ويصرح بأنه ما من أحد قد أسدى خدمات للاسلام مثله. ذكر ذلك في كتابه (الحكومة الاسلامية) الذي أبدى حزب التحرير إجابه الشديد به حتى قالوا: أفضل شيء عمله الخميني على الاطلاق هو تأليفه لكتاب «الحكومة الاسلامية». ه .

ترى أين سيسير بنا هؤلاء المغفلون لو رضينا بهم قادة للعالم الاسلامي وسلمناهم زمام الخلافة؟

---

[98] - **كانا وزيرين شيعيين عند الخليفة العباسي (أنظر تفاصيل خيانتهما في البداية والنهاية لابن كثير 200/13 - 219 وكتاب دول الاسلام للذهبي 159.**

مـاذا قدمتـم للخــلافة

وحزب التحرير يريد الخلافة ولكن: ما هي الخطوات التي اتخذها في سبيل ذلك؟
عرض على الخميني أن يكون خليفتنا؟ هل أعطاهم المسلمون تفويضا بالمفاوضة مع الخميني باسمهم؟
أليسوا يزعمون أن خلافتهم ستكون بالشورى؟ هل شاوروا الأمة قبل أن يعرضوها على رافضي؟
أهذه الخلافة الراشدة المنتظرة: أن تقوم على يد الخميني؟
خلافة تحت راية الخميني وتحت راية من يشتمون الصحابة ويتهمونهم بتحريف القرآن ويطعنون في زوجات نبينا ويتخذون المقابر مساجد ويحافظون على أحقاد الفتن القديمة بإحياء حفلات عاشوراء وانتظار عقيدة الرجعة يوم الانتقام الموعود؟! إن خلافة كهذه لا تقوم.

أعددتم للخلافة جحود أحاديث الآحاد التي تمثل معظم أخبار السنن وما عند البخاري ومسلم؟
أعددتم لها تمجيد العقل وتقديمه على النقل على غرار المعتزلة؟
أعددتم لها مصافحة المرأة وتقبيلها والنظر الى الصور العارية؟
أعددتم لها تشكيك الناس في عذاب القبر ونعيمه ونزول المسيح وظهور المهدي ومعراج النبي؟
أعددتم لها خليفة رافضيا؟

فالحمد لله الذي لم يجعل الخلافة عن طريق حزب التحرير والا لخذلونا وجعلونا لقمة سائغة للباطنيين الذين يعتقدون «عقيدة الرجعة» وقيام صاحب الزمان بفارغ الصبر للانتقام من زوجات النبي وأصحابه! نحن نمهد للخلافة بتنظيف الطريق اليها من بدع المبتدعين وشرك المشركين وتحريف المحرفين والدعوة للعودة الى ما كان عليه الأسلاف الأولين ليمنحنا الله هذه الخلافة التي ما فقدناها الا بسبب مخالفتنا نهج السلف الصالح.

مملكة العثمانيين لاالخلافة العثمانيين

لقد كان العثمانيون سلاطين وملوكا ولم يكونوا يوما ما يعملون بنظام الخلافة. بل كان ملكهم عضوضا وارتكبوا مجازر وأعمالا بشعة وخيم في عهدهم ظلال الانحراف العقدي والبدع والشركيات. فالخلافة لم تسقط سنة 1924 كما هو الشائع عند كثيرين. فهل تغارون على الخلافة أم على مملكة عثمانية؟

ولماذا يعترض بكري على معاوية قائلا « مصيبة الأمة بدأت عندما سلط معاوية ابنه بالتسلط» [99] فلماذا يتباكى على مصيبة الملك العثماني العضوض الذي لم يكن سقوطه الا بعلم الله وإذنه حيث صارت الدولة العثمانية حامية حمى البدع والشرك وصارت تنفي كل من يعترض على أرباب الخرافة كما فعلت بالشيخ الألوسي حين كتب كتاباً في الرد على يوسف النبهاني المخرف [100]

وتعرض فيه لمحمد الصيادي شيخ الطريقة الرفاعية الذي صار هو الآمر الناهي عند السلطان عبد الحميد الثاني آخر سلاطين العثمانيين.

فالله هو الذي سلط العدو فسلبنا الخلافة ولم يكن تمكينه له الا لحكمة بالغة لنزيل هذا الركام الهائل من الخرافة والشرك الذي نصرته الدولة العثمانية وجعلت من البدعة والشرك توحيداً وسنةً يعاقبُ مخالِفوهما.

ما أصابنا كان بسبب من أنفسنا، فهل عند المتباكين على ذهاب الدولة العثمانية تفسير آخر لذهاب الخلافة؟

هل نقول: إننا على طاعة وننتظر نصر الله لكنه لا يريد نصرنا لسبب ما زلنا نجهله! هل يجوز اعتقاد الظلم في الله أو هل يجوز أن نشك في حكمته وعلمه وهو الغفور الشكور الذي قال (ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليماً)، والذي قال (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض).

إننا أن نشك في أنفسنا أولى من أن نشك في وعد الله.

ولا تكاد تجد من يذكر الناس بآيتين مهمتين وهما:

(ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم).

(وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم).

---

[99] - شريط الصيام 430.00.

[100] - جد تقي الدين النبهاني صاحب الحزب.

في توحيد المنهج توحيد للصف

وتوحيد الأمة ضروري ولكن توحيد الصفوف مكافأة ربانية. قال تعالى (هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم. لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم). وقال (واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها).

ولن يمنحنا الله هذه المكافأة اذا رضينا بالبدعة والشرك وقلنا للمشركين والمبتدعين تعالوا نتحد مهما كانت عقيدتكم.

إن تطهير الصف الداخلي للمسلمين من أسباب تماسك الخلافة ووحدة المسلمين لأن عدو المسلمين يحرص على ضربهم من الداخل وهو يعلم أن ضربنا من الداخل أكثر هدماً للأمة من ضربها من الخارج.

لقد تجاهلوا الصراع داخل الاسلام تجاهلا تاماً واكتفوا بالحديث عن الصراع الخارجي، وفاتهم أن الاسلام لن يمكنه الوقوف أمام أهل الباطل من الخارج إن كان ممزقاً من الداخل.

امنعوا الحزبيين من الكلام عن وحدة المسلمين

وقد فرق الحزبيون المسلمين أحزابا وغطوا هذا المنكر بتكثير الكلام عن وحدة المسلمين. وانما الحزبيون هم المفرقون الحقيقيون بحزبيتهم لوحدة المسلمين فلا يليق بهم التحدث عن وحدة المسلمين لأنهم ارتكبوا جريمة التحزيب التي شقت الصف وسيست وجه الدين وآلت الى التخريب.

ويجب التحدث عن فقدان الدين قبل الحديث عن فقدان الأرض: لأن خسارتنا في الدين أفدح من خسارتنا للأرض، وما خسارة الأرض الا عقوبة دنيوية وبلاء يريده الله أن يكون درساً لنا لنعود اليه. وقد يترتب على خسارة الدين خسارة الدنيا والآخرة.

واذا كانت الأرض لله يورثها من يشاء. فكذلك الجنة لله يورثها من يشاء من عباده.

فاعملوا على العودة الى الدين على منهاج السلف الصالح يحقق الله لكم دينكم ويُعِد لكم أرضكم وينصركم على عدوكم.

أن أول عامل في وحدة المسلمين انما هو في توحيدهم على منهج واحد وفق كتاب الله وسنة نبيه ε. ورحم الله ابن تيمية اذ يقول « ان الناس اذا تركوا الاعتصام بالكتاب والسنة فلا بد أن يختلفوا».

نعم، ان تعدد الجماعات هو نتيجة طبيعية لتعدد المناهج وانحراف المفاهيم والعقائد وقد جرب المسلمون كل شيء ولم يتوحدوا ولو جربوا هذا الطريق لوجدوه كفيلا بتوحيدهم. وقد اعترف النبهاني [101] أن سبب سقوط الخلافة الاسلامية عدم فهم الاسلام فهماً صحيحاً.

الأمة عند حزب التحرير كلها آثمة

ويعتبر التحريريون كل المسلمين آثمين في أيامنا لأنهم لم ينصبوا خليفة من غير تفريق بين حالة عجز الشخص وحال استطاعته. رغم أن الرسول فرق بين الحالتين فقال «تلزم جماعة المسلمين وامامهم» قال: فان لم يكن لهم امام (أي خليفة) أو جماعة؟ قال: تعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تلقى الله وأنت على ذلك»[102]. ولم يقل له تكون آثما لأنك لم تنصب الخليفة.

وهذا الحديث عندهم آحاد وليس بمتواتر. ولكن: أليس من حقنا أن نطالبهم أن يثبتوا عقيدة تحريم الأخذ بخبر الآحاد في العقيدة بدليل متواتر قبل مطالبتنا بالتسليم لهم بذلك؟ وهو ما لن يجدوه: لا من القرآن ولا من السنة ولا من الصحابة وتابعيهم.

---

101 - الدولة الاسلامية (ص 131).

102 - رواه مسلم وهو عند البخاري.

احتجاجهم بحديث من مات وليس في عنقه بيعة

ولكن:هل يحق لهم وحدهم الاحتجاج بالآحاد متى شاؤا؟

فانهم يحتجون بقول النبي ε « من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية» وهذا الحديث رواه مسلم عن ابن عمر بلفظ « من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه...» فهذا حديث غير متواتر فكيف جاز لهم ذلك؟

ثم انهم لا يرووين الحديث كاملا لأن ذلك يكشف سوء استدلالهم، هم حزب، وانما يريدون تكثيف الأتباع فيحتجون بالقطعة الأخيرة من الحديث فقط. ومعنى الحديث النهي عن الخروج على الامام أو رفض اعطائه

البيعة. وروى مسلم عن ابن عباس عن النبي ε قال « من كره من أميره شيئا فليصبر عليه فانه ليس أحد من الناس خرج من السلطان شبرا فمات عليه الا مات ميتة جاهلية». وفي الحديث الذي رواه أبو هريرة « من خرج من الطاعة وفارق الجماعة مات ميتة جاهلية».

فهذه النصوص تتعلق بوجوب طاعة الامام القائم لا عن وقت لا أمير فيه ولا بأمير الحزب الذي كثر انشاء أمثاله على غرار احزاب الكفر التي أعجب بها الحزبيون الاسلاميون وكان لهم فيها أسوة فاقتدوا بها

ولم يقتدوا بسيرته ε النبوية التي فيها خلاص للأمة مما تواجهه.

وليس معنى الحديث أن الذي يموت في زمن ليس فيه جماعة ولا امام أنه يموت ميتة جاهلية. بدليل حديث حذيفة السابق.

وما ذنب عوام المسلمين ان قدر الله لهم أن يوجدوا في زمان ليس فيه خليفة. والله تعالى يقول (لا يكلف الله نفسا الا وسعها).

الأمة آثمة أصلا بترك الدعوة

والله إن الاثم الأعظم من إثم فقدان الخلافة هو إثم ترك الدعوة الى الله التي يجب أن لا يعطلها فقدان الخلافة، فمن المسئول عن هؤلاء الذين فاتهم معرفة الدين الحقيقي؟

لا سيما من يعيشون في بيئة كفر لا يمنع أهلها أحداً من الدعوة الى الايمان ثم ينشغل الغيارى على الدين عن دعوتهم الى الايمان لانشغالهم بأمور السياسة. وينصرفون عن الدعوة في مكان الدعوة.

لقد جهلوا أن وضع الأمة المتردي خضوعا واستسلاماً وعقيدة وسلوكاً ومنهجاً هو الذي أرداها وخلفها وراء الأمم وأفقدها سلطانها وهيبتها بين الأمم.

فهي على ما تعاني من هذه السلبيات ليست مؤهلة للريادة والقيادة مما يحتم العودة بها الى التمسك بهدي السلف قبل أن نخوض بها طريقا لن ترضى خوضه لافتقادها الصفات التي تحلى بها السلف الذين تربوا أولا ثم مكن الله لهم وسادوا العالم.

فمن لم يلحظ هذه النقطة المهمة لن يبالي قفز سلم الأولويات وسرعان ما سيسقط كما سقط الأولون. وبالرغم من علمنا بسقوطهم فاننا لا نتدارك أخطاءهم وانما تجدنا نكرر نفس تجربتهم ونسقط نفس سقوطهم وهذه مصيبة أدت الى أفدح الخسائر.

صحيح أنه يجب علينا أن نحارب اليهود والنصارى. ولكن لا بد أن نعلم أننا لن ننتصر على اليهود والنصارى ما دام عندنا من البدع والمخالفات ما ركبنا به سنن من كان قبلنا. وأن هناك حركات شركية صوفية مبتدعة يحرص اليهود والنصارى على دعمها ونشرها بيننا لأنهم يعلمون أن وجود هذه العناصر بين المسلمين يزيد من ضعفهم وتفرقهم واختلافهم فيما بينهم.

واذا كان الأمر كذلك: واذا ثبت أن أهل السياسة يجعلون من عملهم السياسي التصدي للدعوة الاصلاحية المنادية بالاقتصار على الكتاب والسنة ونبذ البدع والشرك فإني متخذ من دعوة الاصلاح سياسة لي أعلم أنه سيكون لها أسوأ الأثر على عدو هذه الأمة.

العقيدة الصحيحة تجمع ولا تفرق

إن الدعوة الى توحيد الصفوف تحت ظل العقيدة الصحيحة هو الذي يؤدي الى توحيد الأمة. فهي الخطوة التي يخشاها العدو.

لن تكون العقيدة سبباً في تفرق الأمة. ففي الوقت الذي ينادي فيه الآخرون بوحدة الأمة ننادي نحن بتنقية الأمة ثم بتوحيدها لأن تنقية الأمة من أصناف البدع والشرك هو الذي يحقق لها الوحدة الحقيقية. فالبدعة والشرك سبب تفرق الأمة، وسبب ذهاب تعاليم الأنبياء من قبل.

ان فساد حالنا لا يرضي الله وبالتالي فمهما حاول المخلصون العمل على توحيد الصف فلن يتوحد الا بوحدة المنهج،

فكلمة التوحيد أساس توحيد الكلمة.

ويبقى النداء بالوحدة مع الشيعة والصوفية وغيرهم شعاراً مستهلكاً وخدعة فإن أهل الباطل لا يساومون على باطلهم ولا يتنازلون عنه.

الجهاد حيث لا يوجد جهاد

ويخطيء حزب التحرير حين يروج للجهاد في أماكن لا وجود للجهاد فيها مثل حملات الدعوة الى الجهاد في جامعات بريطانيا ودعوة المسلمين للخروج الى الشوارع وعمل المظاهرات هناك بما أسموه ***Rally for Islam*** ويخشى أن يكون هذا تفريغاً لطاقات الشباب، فان المطلب المناسب والملحّ لهذا المكان هو الدعوة التي يصرفهم عنها الشيطان حيث لا حرب هناك، وانما الأرض خصبة للدعوة ولكن كثيرا منهم يؤفكون عن الدعوة ويُصرفون عنها الى ما لا خير للاسلام فيه، هو مكان يستطيعون التحدث فيه عن الاسلام والدعوة اليه من غير أن يمنعهم أحد.

انهم مسؤولون عن ترك دعوة هؤلاء الذين لو أسلموا لكان خيراً للأمة. وخروجاً بها من كثير من الأزمات التي ربما كان ترك الدعوة أحد أسبابها وعقوبتها.

فأما الدندنة حول الجهاد بين أوساط الكفار بما يثير عصبيتهم وصليبيتهم القديمة من غير دعوتهم الى الاسلام لا سيما وهم لا يمنعون من الدعوة الى الاسلام فهذا من مكائد الشيطان وصوارفه.

ولما أن قام جماعة التبليغ في أفغانستان بدعوة المجاهدين المرابطين في الخنادق والثغور للخروج (في سبيل الله) يقصدون الخروج معهم للدعوة قام زعماء المجاهدين ضدهم وصدر أمر بطردهم والا تعرضوا للقتل. لماذا؟ أليس لأنهم يتحدثون عن الدعوة في مكان جهاد ضد الملحد الروسي. فكذلك استثارة الناس الى جهاد لا في محل: انما هو استفراغ للطاقات ونثرها في الهواء، والاقتصار على مخاطبة العوام من زاوية العاطفة بمعزل عن العلم انما هو الكمين الذي منه يتسلط أئمة السوء على العامة كما يفعل الروافض وكذلك قساوسة النصارى مع عوامهم.

ولم يكن النبي ε يحرض المؤمنين على القتال حين كان في مكة وانما كان يربي أصحابه وينذر الناس.

وهؤلاء لا يعنيهم موت الملايين من الكفار على الكفر إذ ليس للدعوة الأولوية عندهم. وانما للخلافة قبل كل شيء، ولا بأس أن تمر عقود يموت خلالها مئات الملايين موت الأنعام من غير أن يعرفوا الحق.

وجوب الجهاد وجوب الوسائل لا المقاصد

قال رسول الله ε لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه « لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم».

وقد أعجبني قول السبكي « يؤخذ من الحديث أن المقصود بالقتال انما هو الهداية، وما سواها من الشهادة.

وقتل الكافر ليس بمقصود، ولكنه اذا لم تحصل الهداية يدوم القتال فيؤدي بضرورة الحال الى أحد أمرين:

إما قتل المسلم الذي بذل نفسه لهذا المقصود وهو أعظمها وهو الشهادة.

وإما قتل الكافر وهو ليس بمقصود أصلا لأن فيه إعدام نفس يرجى اسلامها وإسلام ذريتها، فانقطع هذا الرجاء بموتها على الكفر وليس ذلك بمقصود ولا وسيلة الى المقصود بخلاف الشهادة، وانما هو ضرورة أدى اليه الحال، والكافر هو الذي قتل نفسه بإصراره على الكفر ومقاتلته عليه، فليس فيه من المصلحة الا ما يحصل لمن بقي من الكفار من الرعب في قلوبهم، لعلهم يرجعون الى الاسلام وإعلاء كلمة الله تعالى.

ومن هنا يظهر أن وجوب الجهاد وجوب الوسائل لا وجوب المقاصد، وأن التوصل الى الهداية بغير الجهاد لو أمكن أفضل، حتى لو فُرض جماعة من الكفار يمكن إبانة الحق لهم بالدليل والبحث حتى يرجعوا عن كفرهم ويُسلموا كان أفضل من جهادهم. ومن هنا يعلم أن مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء»[103]. انتهى وهو كلام نفيس جداً.

مجالس التكفير

ومما يسيء للصحوة الاسلامية اليوم تداول مسائل الحكم بالكفر بين الشباب وفي مجالس السمر، بل وحكموا على مخالفهم في رؤية الكفر بالكفر والتخاذل والجبن ومنافقة الطواغيت...الخ.

وقد جهلوا أن المخطىء في التكفير أعظم خطراً من المخطىء في عدم التكفير. وأن الكلام حول التكفير الاجتهادي من شأن أهل العلم والحكمة والحلم والتروي وليس من شأن المتعجلين.

واتخذت بعض الجماعات من التكفير ذريعة للخروج لأنه ما لم يقع تكفير فالصبر واجب « الا أن تروا كفراً بواحاً». ولهذا لم يفكروا في جدوى الخروج ومدى الاستطاعة من الخروج حتى وإن كان الكفر بواحاً وهذه قاصمة الظهر التي لم تدرس بعناية بين من نحسب اخلاصهم للاسلام وتحمسهم لأجله مما أدى الى زيادة ضعف من جانبهم وزيادة تمكن من جانب خصومهم.

---

[103] - طبقات الشافعية 293/10.

بـــدع الجـــهـــــاد

كما أن هناك بدع في الأذكار وبدع في الطهارات وبدعً في الصلوات فكذلك يوجد مخالفة للهدي النبوي في الجهاد.

وكما أن للوضوء سنناً وللصلاة سنناً فكذلك للجهاد سنن وضوابط: ولنا في رسول الله ε أسوة حسنة في مراحل ضعفه وقوته وصبره وجهاده. فمع أنه كان مؤيداً من الله بالنصر والمعجزات الا أنه في حالة الضعف لم يفعل ما يفعله الناس اليوم من تصرفات تبرر للعدو كيل الضربات التي تزيد في ضعف المسلمين.

وقد خبرنا في العقود الماضية حركات انتهجت منهج التعجل والتهور ثم هي اليوم أكثر موالاة للظالمين ومجاملة للباطل وتهويناً من شأنه. ولو صبروا ووسعهم ما وسع النبي ε لما وقع لهم ما وقع. ولكن العجلة يفوت بسسبها خير كثير.

وما نتيجة التعجل؟ تعرض خلاصة من الشباب الى الفتن. ولا يزال الروافض يمدون المتعجلين ويدفعون بهم نحو الهاوية لما فيه من استنزاف طاقات المسلمين وتخليص الأمة من شبابها. وبعد مرحلة الضعف تبسط دولة الفاطميين سيطرتها على العالم الاسلامي.

وما كان المسلمون يعرفون جهادا بلا قائد ولا أمير ولا جيش اسلامي. ولا قتلاً بدون موافقة ولي أمر المسلمين.

ان الاسلام نظام كله، ليس في العبادات فحسب ولا في معاملات البيوع فحسب بل حتى في أمور السلم والحرب والتعامل مع العدو والكافر والمنافق. ولنا أن ننظر بأي هدوء ونظام تم التعامل مع المنافقين في المدينة حتى ان الشيخين لم يكونا يعرفان أسماءهم بالتعيين من النبي.

ومثل هذه الفوضى يستغلها مجرمون يقتلون لأسباب شخصية. فاذا سئلوا عن ارتكاب الجريمة: قالوا: شككنا في تعاونه مع العدو.

فهذا الجهاد الذي يدعو اليه اليوم شرذمة من المتعجلين من عصابات واغتيالات وتفجيرات لأماكن عامة ليس من سنته ε وقد قال « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة».

العهد المكي والعهد المدني

في هذين العهدين فوائد كثيرة أهمها: تعليمنا كيف نتصرف في موقفَي الضعف والقوة. لقد كان همه ε انقاذ الكافر من النار ما أمكن ولو بتأليف قلبه بالمال كما فعل يوم حنين مع صفوان.

ولا عبرة بقول من قال: إن العهد المكي منسوخ ولاوجود له بعد قيام الاسلام في البلاد، فإن المسلمين متى صاروا قوة فحالة ضعفهم منسوخة بحالة القوة في أي وقت ومكان وتبقى حالة الضعف الأولى درساً يعلمنا كيف نواجه الكفر في حالة الضعف.

ومن قال إن حالة الضعف منسوخة دائماً فقوله مناف للحكمة وهو يعرض المسلمين للمجازر والمذابح ويزيد الاسلام ضعفاً. فإن الصبر انما هو تعبئة لمرحلة قادمة. وأما عدم الصبر فهو يعطي المبرر للعدو القوي لكيل الضربات المتتالية بين فترة وأخرى بما لا يعطي للمسلمين نفساً لاستجماع قواهم.

إن الجهاد مناسب في وقته المناسب وفي مكانه المناسب: تلك هي الحكمة. والمطلوب من المسلم أن يكون حكيماً وأن يسأل نفسه:

* لماذا لم يجاهد النبي في أول الأمر؟
* لماذا لم يأمر بتصفية صناديد قريش فبذهاب الطواغيت يفسح المجال للدعوة وينتشر الاسلام؟
* لماذا يُعرَض الملك والجاه والنساء على النبي ε فيرفض ذلك كله ويؤكد أنه ما جاء الا لهذا الأمر ليدعو الناس الى عبادة الله وحده فإما أن يظهره الله أو أن يهلك دونه؟
* ولما قال له الصحابة «ألا تستنصر لنا» قال لهم «ولكنكم تستعجلون» فاذا كان من بين الصحابة متعجلون فوجود متعجلين بين المسلمين من باب أولى.

وقد ذهب النبي ε الى الطائف لتبليغ الدين وسالم قريشا عشر سنوات وكانت شروطهم لا تبدو لصالح المسلمين وذلك لتنتشر الدعوة ويسمعها العرب ولا تشغلهم حروب قريش عن معرفتها. لقد أراد الله من الهجرة أن يعطينا درسين عظيمين:

أن الله أرسل رسوله في أقحل أرض وبين أجهل قوم ليعلمنا أن قيام هذا الدين ممكن بالرغم من كل الظروف الصعبة اذا صحت النوايا وصدقت العزائم وأخلصت القلوب.

يجب أن نسير على سنن الجهاد فلا نتوقع المعجزات بل نذكر قول نبينا حين عرض عليه ملك الجبال أن يطبق الجبلين على قريش فكان جوابه «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً» مما يعلمنا أنه إن كان ثم مصلحة في قتل الكفار فالمصلحة في دخولهم الاسلام وإنقاذهم من النار أعظم.

متى نصر الله

- عندما يتحقق مجتمع يسير على نهج السلف الأوائل في الطاعة والخضوع والامتثال ويصير المنادي بتحكيم الشريعة ممتثلاً هو لها قبل ذلك.
- عندما يزيد إخلاصنا للآخرة على إخلاص الكفار لدنياهم، فإن المشكلة حين يكونون أكثر إخلاصاً لدنياهم من إخلاصنا لديننا.
- عندما نعلم أن الإعداد شرط والتمكين والنصر وعد. بخلاف ما تزعمه بعض الحركات الاسلامية التي عكست هذه القاعدة فكان ما كان. حيث اقتصرت على تذكير المسلمين بما يعده الكفار من قوة ومؤامرة ضدنا وتناست مخالفة الخلف لسلفهم في كثير من الأمور.
- عندما نكون كنساء الانصار اللاتي سارعن الى شق مروطهن والتحجب بها ساعة نزول آية الحجاب.
- عندما نكون ككعب بن مالك الذي أغراه ملك غسان بعروض الدنيا وقد ضاقت به الأرض وقاطعه المسلمون فأحرق رسالته وقال: وهذا أيضاً من البلاء.
- عندما تقوم أخوة الايمان والمناصرة، مثلما فعل الأنصار حين قسموا بيوتهم وأموالهم وأزواجهم مناصفة بينهم وبين المهاجرين.

عندما يرضخ المجتمع لأمر الله تعالى فاذا جاء الأمر من الخليفة: أهرقوا الخمر فيلتزمون ذلك من المرة الأولى. ويهريقوا الدم من غير رقابة من شرطة ولا غيرها.

خبـــر الآحـــاد

لقد كثر جدل حزب التحرير حول خبر الواحد وصار عقيدة يوالون ويعادون عليها وإن كانوا في الحقيقة لا يخرجون في موقفهم منه عن مبدأ المذهب الأشعري أو الماتريدي، غير أن كثرة حديثهم عن خبر الواحد قارب كلامهم حول الخلافة من حيث الاهتمام وظهروا بحديثهم عنه بمظهر أهل الخبرة والعناية بحديث رسول الله ε. ولكن السبب الحقيقي في تشدد الحزب في خبر الواحد انما هو نابع من تشدد النبهاني نفسه تبعاً لمذهبه الحنفي الماتريدي.

ولقد سبقهم الى هذا القول أئمة المنطق وعلم الكلام كالرازي والجويني والغزالي مما يجعلنا نرجح أن يكون الاختلاف الحقيقي معهم ليس حول خبر الواحد وانما خلاف حول المذهب الأشعري نفسه، فالمسألة مسألة مذهب أشعري ماتريدي وليست فقط خبر واحد، وحينئذ فالأولى أن نبدأ مع هاتين الفرقتين من مسائل أخرى قبل خبر الواحد:

أين هي الفرقة الناجية التي تحدث عنها النبي ε في نظر حزب التحرير؟ هل هي المذهب الأشعري والماتريدي؟ ما هي عقيدتكم: هل تتبنون التأويل الذي رجع عنه الأشعري والجويني والرازي والغزالي وغيرهم من أئمة الأشاعرة أم تتمسكون بالتفويض الذي انتهوا اليه؟

موقف الأئمة من المذهب الأشعري

إننا على خلاف مع أناس حول خبر الآحاد ليسوا بتحريريين بل ضد حزب التحرير وهم مع ذلك يوافقون الحزب في موقفه من خبر الآحاد لأنهم متفقون على الاستقاء من المصدر الأشعري الماتريدي.

وقد تقدم أن المصدر الذي يستقي منه الحزب عقيدته هو المذهب الماتريدي كما يدل عليه جملة كتاباتهم وأنهم أكثر ما يحتجون بأئمة ماتريدية في العقائد كالنسفي وغيره.

وقد ذم ابن الجوزي وابن حزم وأبو نصر السجزي وعبد القادر الجيلاني وابن خويزمنداد من المالكية: المذهب الأشعري بل بلغ الأمر بابن حزم الى التصريح بكفر هذا المذهب والتشنيع عليه كما في الملل والنحل[104]. وصرح العز بن عبد السلام وابن حجر الهيتمي باختلاف الأشعرية فيما بينهم في كثير من الصفات ونص الأخير على أن صفات الأفعال حادثة عند الأشاعرة أزلية عند الماتريدية[105].

وانتهى الغزالي والجويني والرازي الرجوع عن تأويلات الأشاعرة. فاختلافهم دليل على أن طريقهم لا تمثل السنة لأن أحمد والشافعي ومالك لم يختلفوا في شيء من صفات الله بالرغم من اختلافهم في الفقه.

ومعرفة هذه المسألة أهم من تعلم تفاصيل الخلافة فقد يموت المرء على واحدة من فرق الضلال قبل أن تقوم الخلافة فعلى أي عقيدة يموت؟

---

104 - أنظر جامع بيان العلم وفضله 96/2 وصون المنطق والكلام 137 وصيد الخاطر لابن الجوزي 183 والغنية لطالبي الحق للجيلاني 54-60 والفصل في الملل والنحل لابن حزم 117/5.

105 - قواعد الأحكام170-172 الاعلام بقواطع الاسلام24 الزواجر 350/2 فتح المبين بشرح الأربعين 78 فتح الباري 439/13.

الحجة على حزب التحرير من كلامه

وقد ادلى النبهاني باعتراف مهم يتعارض مع موقف الحزب من خبر الآحاد، فقال « النبي ع بعث في وقت واحد اثني عشر رسولا الى اثني عشر ملكا يدعوهم الى الاسلام، وكان كل رسول واحداً في الجهة التي أرسل اليها، كما أرسل معاذاً الى اليمن، فلو لم يكن تبليغ الدعوة واجب الاتباع بخبر الواحد لما اكتفى الرسول بإرسال واحد للتبليغ ولكان أرسل جماعات»[106].

ونحن نشكره على هذا الاعتراف، فقد شهد أن رسول الله أرسل معاذا الى اليمن، ونذكره بوصية النبي الى معاذ ع « انك تأتي قوما أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم اليه لا اله الا الله»

مما يدل على أن مذهب رسول الله على خلاف مذهب التحرير، حيث كان يرسل النبي آحاداً لتبليغ عقيدة لا اله الا الله ووجوب الايمان بهذا النبي الخاتم، فإنه عليه الصلاة والسلام بعث في وقت واحد اثني عشر رسولاً الى اثني عشر ملكاً يدعوهم الى الإسلام وكان كل رسول وحده في الجهة التي أرسل إليها. فلو لم يكن تبليغ الدعوة واجب الاتباع بخبر الواحد لما اكتفى الرسول بإرسال واحد للتبليغ: فكان هذا دليلاً صريحاً على أن خبر الواحد حجة في التبليغ.

وهذه حجة قاطعة من أفواه المجادلين عن خبر الواحد تقوم عليهم من كلام مؤسس الحزب.وكان ينبغي أن يكتفوا بهذه الحجة ويتراجعوا عن خطأ تعصبوا له منذ عقود طويلة ولا يزالون يبحثون له عن الأدلة دون جدوى. ولا يتنزهوا عن الشيء الذي عمل به رسول الله ع.

الحزب لا يحكم بما أنزل اله

إن تحريم الأخذ بخبر الواحد من دون دليل من كتاب الله ولا سنة رسوله: إنما هو حكم بما أنزل الله يحكم به حزب التحرير الذي يطالب الحكام أن يحكموا بما أنزل الله. ونحن نطالب من ينادون بتحكيم الشريعة أن يحكموا هم بدورهم شرع الله: فاذا شهدوا أن رسول الله أرسل واحداً يحمل خبر عقيدة الى أهل اليمن استسلموا وخضعوا وقالوا سمعنا وأطعنا لا سمعنا وعصينا وجادلنا وتعصبنا!!

كل هذا لتعلم أن الله عليم حكيم يعلم عدم أهليتنا الى الآن للقيادة لافتقارنا الى مزيد من الخضوع والاستسلام لأمر الله وطاعة رسوله، فاننا مطالبون بالخضوع للنصوص وعدم المراوغة وتسليط قواعد الحزب ومبادئه على نصوص الكتاب والسنة، والا كانت عقوبة ذلك حرماننا من إمام يحكم الشريعة ويعدل بين الرعية.

ولو علم الله أن خبر الواحد لا تقوم به حجة لأوحى الى نبيه أن يرسل الى الملك الواحد جماعة متواترة من الصحابة لا واحدا فقط. ولو أن الحجة لا تقوم بخبر الواحد لما أرسل ع واحداً ولقال الناس لمعاذ: أنت خبر واحد لا نقبل منك أمور العقائد فارجع الى نبيك وقل له يرسل جماعة يحصل بهم التواتر لتعليمنا أمور العقيدة. وهذه حجة دامغة.

قال الحافظ «واحتج بعض الأئمة بقوله تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته) مع أنه كان رسولا الى الناس كافة ويجب عليه تبليغهم، فلو كان خبر الواحد غير مقبول لتعذر ابلاغ الشريعة الى الكل ضرورة لتعذر خطاب جميع الناس شفاها، وكذا تعذر ارسال عدد التواتر اليهم وهو مسلك جيد»[107].

ولما واجه حزب التحرير هذه الحجة زعم في الدوسية (ص5) أن «رفض الخبر بالاسلام لا يعتبر كفرا ولكن رفض الاسلام الذي قام عليه الدليل اليقيني هو الذي يعتبر كفرا».

ويا لها من سفسطة! فإن من يرفض الاسلام إنما يرفضه بعد بلوغ خبر الاسلام اليه، وفيها بشرى لليهود والنصارى أنهم ليسوا كفارا لأنهم سمعوا الخبر بالاسلام فرفضوا الخبر به فقط.

ومما يبطل هذه السفسطة أن النبي ع أرسل واحداً الى هرقل وقد جاء في رسالته اليه « فان توليت فانما عليك اثم الأريسيين». أي إن أعرضت ولم تقبل ما أرسلتُ لك خبره فعليك إثم رعيتك وعامتك، والأريسي هو الفلاح أو العامل.

ولو كان هرقل تحريرياً لرد رسول النبي وأمره أن يعود اليه برسل متواترين حتى يصدق ما أرسلهم به!

---

106 - ميثاق الأمة ص 9 منشورات الحزب. الشخصية الاسلامية 78/3.

107 - فتح الباري 235/13.

فهذا رفض الخبر بالإسلام ابتداءً وإلا كيف تقام الحجة على المخالفين الذين يرفضون الخبر بالإسلام إذا كان المراد بقيام الحجة عليهم الدليل القطعي وإن إرسال الرسل تترى لا يفيد ذلك فإن الذي يرفض الخبر بالإسلام لا يمكن أن تقام عليه الحجة أبداً لأنه أغلق باب البحث والنظر والاستدلال. فهذه السفسطة باطلة نقلاً وعقلاً.

وكذلك أرسل الى كسرى خبر آحاد يدعوه الى الاسلام فعن ابن عباس أن رسول الله بعث بكتابه إلى كسرى مع عبد الله بن حذافة السهمي فأمره أن يدفعه إلى أمير البحرين، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرأه مَزَّقَهُ فحسبت أن ابن المسيَّب قال « فدعا عليهم رسول الله أن يمزقوا كل ممزق»[108] . فلو لم يكن رفض الخبر بالإسلام كفراً لما دعا عليه النبي.

ولو كان كسرى تحريريا لقال للرسول عد الى نبيك ومره أن يرسل الي أعدادا متواترة ليحصل بهم اليقين والا فخبر خبر واحد ولا يحصل بك علم وحينئذ أصدقك.

وقد كان النبي ε يقطع بصدق أصحابه كما قطع بصدق تميم الداري لما أخبره بقصة الدجال وروى ذلك على المنبر ولم يقل أخبرني جبريل عن الله بل قال (حدثني تميم الداري) ومن له أدنى معرفة بالسنة يرى هذا كثيراً فيما يجزم بصدق أصحابه ويرتب على أخبارهم مقتضاها من المحاربة والمسالمة والقتل والقتال.

---

[108] - **أخرجه البخاري 154/1 108/6 و126/8 241/13 الفتح، خلق أفعال العباد ص98 والنسائي وأحمد 243/1 و 305.**

أصل شبهة رفض خبر الواحد وسببها

أن الله استعمل كلمة (ظن) على معنيين متضادين. وهذا ما لم يفهمه هؤلاء حيث قصروا معنى (الظن) على معنى واحد وهو الخرص والشك. فخالفوا الاستعمال القرآني لكلمة (ظن).

فقد ذكر الله الظن في مواطن الاعتقاد ومدحه. قال تعالى (إني ظننت أني ملاق حِسَابية فهو في عيشة راضية) [الحاقة20-21] وقال (وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه) [التوبة 118] وقال (الذين يظنون أنهم مُلاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون) [البقرة 46] وقال (قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله) [البقرة 249].

فما هو الظن الذي يذم الله المشركين على اتباعه ويمدح المؤمنين على فعله أهو هو؟ إذن فلا بد من تحقيق معنى كلمة الظن.

التحقيق في ذلك أن الظن:

اذا كان مرجوحاً كان وهماً وتخرصاً وتخميناً وهو لا مكان له في الشريعة. وإذا كان راجحاً كان علماً ويقيناً، وعلى ذلك يُحمل قول أهل اللغة «الظن شك ويقين»[109] قال الأنباري في كتاب «الأضداد» أن كلمة الظن من الأضداد.

علم من ذلك أن الظن الممدوح في الآيات الأخرى هو الظن الراجح الذي يفيد العلم واليقين. وهو غير الظن الذي حذر منه ε قائلاً «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث» (متفق عليه) المنافي للجزم كما قال تعالى (ما لهم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً).

فالظن الراجح خرج عند أهل فن الحديث عن الخرص الى اليقين لأنهم تفحصوا سند الرواية فلما استوفى عندهم شروط الصحة صار صار الشك بالرواية هو المرجوح واليقين فيها هو الراجح. وهو ما يراد عند أهل العلم الذين وصفوه بأنه ظني ولم يعهد عنهم النهي عن الأخذ به في شيء دون شيء. بل أنكروا على المعتزلة الطعن به.

فالظن الذي تفيده أحاديث الآحاد الصحيحة السند هو اليقين إذ أن دلائل الحق في خبر الواحد العدل أكثر وأوفر لأن المنكرين أنفسهم اختاروا حجية خبر الواحد في الأحكام الشرعية. فثبت أنهم يقولون بأن الظن الذي يفيده خبر الواحد هو الراجح لا المرجوح لأن الظن المرجوح لا يجوز الأخذ به في العقائد والأحكام اتفاقاً. وبهذا فقد قرروا أن أحاديث الآحاد تفيد العلم من حيث لا يشعرون.

فإن أبوا لزمهم القول بعدم حجية أحاديث الآحاد في الأحكام أيضاً وإلا وقعوا مرة أخرى في التناقض، فقد كان الخوارج والمعتزلة منطقيين مع أنفسهم عندما جعلوا الآيات الناهية عن الظن ناهية عن الاحتجاج بحديث الآحاد في العقائد والأحكام.

● الدليل الثاني: أن الله أجاز خبر الواحد الثقة فقال (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين). قال ابن الأثير «الطائفة الجماعة من الناس وتقع على الواحد»[110].

وقال البخاري «ويسمى الرجل طائفة لقوله تعالى (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) فلو اقتتل رجلان دخلا في معنى الآية».

وقال ابن حجر «إن لفظ الجماعة يتناول الواحد فما فوقه ولا يختص بعدد معين وهو منقول عن ابن عباس وغيره كالنخعي ومجاهد»[111]. وكذلك قوله تعالى (ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا).

● الدليل الثالث: أن الله قد أمر بطاعته ورسوله فقال (وأطيعوا الله ورسوله) وقال (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وعلى المسلمين أن يقولوا سمعنا وأطعنا. والسمع والطاعة واجبان في كل ما ثبت عن الله ورسوله ε من غير تفريق بين العقائد والأحكام.

وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيْ فردوه إلى الله والرسول) [النساء 59]. فالله أنزل الكتاب والحكمة لرفع الخلاف وليحكم بين الناس فيما كانوا فيه يختلفون.

فلا يجوز أن يقول سمعنا في الأحكام دون العقائد فيما ورد الينا بطريق الآحاد، وأمر الله برد ما يحصل فيه النزاع اليه والى رسوله في قوله تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر)

وعقوبة رد أمر الله الفتنة: قال تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) قال أحمد: أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك. لعله أن يرد شيئاً مما أمر الله به ورسوله فيصيب قلبه الزيغ فيهلك.

---

109 - **النهاية 163/3 لسان العرب 272/13.**

110 - **انظر أيضاً لسان العرب 226/9.**

111 - **الفتح 231/13و234/13.**

● الدليل الرابع: أن الله جعل إجماع المؤمنين حجة فقال (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين لـه الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً) [النساء 115]. وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيْ فردوه إلى الله والرسول) [النساء 59]. فالله أنزل الكتاب والحكمة لرفع الخلاف وليحكم بين الناس فيما كانوا فيه يختلفون.

قال الشافعي في (الرسالة ص457) «ولو جاز لأحد من الناس أن يقول في علم الخاصة: أجمع المسلمون قديماً وحديثاً على تثبيت خبر الواحد والانتهاء إليه، بأنه لم يعلم من فقهاء المسلمين أحد إلا وقد ثبته فقد جاز لي، ولكن أقول: لم أحفظ عن فقهاء المسلمين أنهم اختلفوا في تثبيت خبر الواحد».

قال السفاريني « يعمل بخبر الآحاد في أصول الدين، وحكى الحافظ ابن عبد البر الاجماع إلى ذلك».

وقد قال تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) [البقرة 143]. قال ابن حجر في الفتح (316/13) « والآية التي ترجم بها - أي البخاري- احتج بها أهل الأصول لكون الإجماع حجة لأنهم عُدِّلوا بقوله تعالى (أمة وسطاً) أي عدولاً ومقتضى ذلك أنهم عصموا من الخطأ فيما أجمعوا عليه قولاً وفعلاً».

وقال الخطيب البغدادي في (الفقيه والمتفقه97/1) « إنما دفع خبر الآحاد بعض أهل الكلام لعجزه عن علم السنن وهذا عندنا ذريعة لإبطال سنن المصطفى ε... فقد خدعوا عقول العامة واستر هبوهم بدعوى الإجماع ومرادهم إبطال السنن».

وليحذر من حكايات الاجماع التي يختلقها المبتدعة فانهم يدعون اجماعات لا أصل لها قال ابن قيم « وعادة أهل الكلام يحكون الإجماع فيما لم يقله أحد من أئمة المسلمين بل أئمة الإسلام على خلافه»[112].

قال محمد بن الحسن وغيره رحمهم الله « هذه الأحاديث - يعني أحاديث صفات الله تعالى - فنحن نرويها ونؤمن بها»[113].

ولم يشترط لرواية الثقة في العقيدة أن تأتي متواترة. ولا فرق في المسألة بين متواتر وآحاد بل صرح بالأخذ بما رواه الثقة رواية مطلقة من غير تفريق بين متواتر وأحكام.

ثم إن السهو والنسيان جائز على الأنبياء وعلى نبينا ε كما هو ثابت، فهل يقبل عاقل أن يرد خبر واحدهم بمثل هذه الحجة**؟**

وقد اعترف التحريريون أن هذا من أقوى الأدلة على افادة خبر الواحد العلم.[114]ومع اعترافهم بقوته فقد اجتنبوه. وهم يروون عن الأئمة ومشايخ المذاهب مسائل كثيرة في الفقه والعقائد ولم يتمهلوا قبل ذلك ويسألوا أنفسهم: هل ما بلغني عن امام مذهبي متواتر أم آحاد؟

---

112 - **مختصر الصواعق المرسلة 413/2.**

113 - **شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي 433/3.**

114 - **أنظر كتاب (الاستدلال بالظني في العقيدةص 80) مع أن التحريريين لا يسلمون بأن كلمة الذكر تشمل السنة كما ذكره صاحب الكتاب المذكور ص 61) حيث زعم أن « الذكر تعني القرآن فقط وليس السنة».**

الاجماع على الاخذ بخبر الواحد الثقة

قال الشافعي « لم أحفظ عن علماء المسلمين أنهم اختلفوا في تثبيت خبر الواحد» [115].

قال ابن حجر « الخبر المحتف بالقرائن قد يفيد العلم خلافا لمن أبى ذلك.. وهو أنواع: منها ما أخرجه الشيخان في صحيحيهما مما لم يبلغ التواتر فانه احتف به قرائن، منها: جلالتهما في هذا الشأن، وتقدمهما في تمييز الصحيح على غيرهما، وتلقي العلماء لكتابيهما بالقبول، وهذا التلقي وحده أقوى في افادة العلم من مجرد كثرة الطرق القاصرة على التواتر» قال « فالاجماع حاصل على تسليم صحته»[116]« وقد شاع فاشيا عمل الصحابة والتابعين بخبر الواحد من غير نكير، فاقتضى الاتفاق منهم على القبول» [117].

وقال ابن الصلاح في مقدمته « وما اتفق عليه البخاري ومسلم جميعه مقطوع به، والعلم اليقيني النظري واقع به، خلافا لقول من نفى ذلك محتجا بأنه لا يفيد في أصله الا الظن، وانما تلقته الأمة بالقبول ... وما انفرد به البخاري ومسلم مندرج في قبيل ما يقطع بصحته لتلقي الأمة كل واحد من كتابيهما بالقبول» [118].

وحكي ابن الصلاح أنه كان أول الأمر يميل الى رد خبر الواحد في العقائد قال « ثم بان لي أن المذهب الذي اخترناه أولا هو الصحيح».

قال السخاوي « فقد سبقه [أي ابن الصلاح] الى القول بذلك في الخبر المتلقى بالقبول الجمهور من المحدثين والأصوليين وعامة السلف» [119].

حجية خبر الآحاد عند الشافعي

قال عمر بكري « عندي لائحة باسماء مئة وثلاثة وثلاثين عالماً كلهم قالوا ان حديث الآحاد ظني ولا يؤخذ به في العقائد. واذا نقبت عن هؤلاء العلماء وجدتهم بين أشعري وماتريدي التزموا بهذا القول تبعاً لمذهبهم.

ونحن عندنا عالم واحد وهو الشافعي من علماء الأمة المشهورين يغلب ألفا من أمثال من ذكرت أسماءهم.

فقد كتب الشافعي ما يزيد على مائة صفحة [120] في أعظم كتاب في أصول الفقه اسمه (الرسالة) أثبت به حجية خبر الواحد وبوبه بالعنوان التالي (باب: حجية خبر الواحد) أكد فيه أن « أهل السنة قد تلقوا خبر الواحد العدل بالقبول». وقال « لم أحفظ عن علماء المسلمين أنهم اختلفوا في تثبيت خبر الواحد» [121].

وكذلك دافع عن حديث الآحاد في كتابه « اختلاف الحديث» [122] وفي كتابه «الأم» [123] بوّب بعنوان «باب حكاية قول من رد خبر الخاصة» ومراده بخبر الخاصة خبر الآحاد.

فهذه ثلاثة كتب للشافعي ذكر فيها كل ما يحتاج بيانه حول خبر الآحاد لم يقل في شيء منها ان خبر الواحد مقبول في الأحكام مردود في العقائد. ومن خصص فعليه الدليل والا كان محرفاً لقول الأئمة. والمحرفون لن يقيموا الخلافة الراشدة على منهاج النبوة!

نحن عندنا دليل واضح من الشافعي في تثبيت خبر الواحد فقد قال (باب تثبيت خبر الواحد) وهذا لفظ صريح فأين حجتكم التي يجب أن تكون بمثل وضوح كلام الشافعي هكذا (باب تثبيت خبر الواحد في الأحكام دون العقائد)؟

ولا يعقل أن يكتب في هذه الصفحات كل ما يحتاج معرفته عن خبر الواحد ولا يأتي بعبارة صريحة يفرق فيها العقائد والأحكام.

فانه لما أثبت الشافعي خبر الواحد أثبته عموما لم يخصه في شيء دون شيء. ولم يقل الأخذ به حرام حلال: حرام في العقائد حلال في الأحكام كما يذهب اليه المتناقضون!

فأول من طعن في خبر الواحد هم الجهمية والمعتزلة. وأول من دافع عنه وأثبت حجيته هو الشافعي. قال شارح الإحياء الزبيدي « الجمهور على أنه لا يشترط في الصحيح عدد فيحكم بصحة خبر الواحد اذا كان عدلا ضابطا، وذهب المعتزلة الى اشتراط العدد.. وقد بعث رسول الله ع رسله واحدا واحدا الى الملوك ووفد عليه الآحاد من القبائل فأرسلهم الى قبائلهم وكانت الحجة قائمة بأخبارهم عنه مع عدم اشتراط التعدد... وقد استدل الشافعي وغيره على قبول خبر الواحد بحديث ابن عمر في

---

115 - الرسالة ص 457.

116 - شرح النخبة (ص 6) وانظر تدريب الراوي للسيوطي 133/1.

117 - فتح الباري 234/13.

118 - التقييد والايضاح 41 علوم الحديث ص 25 تدريب الراوي 131/1.

119 - قواعد التحديث 85 فتح المغيث 51/1.

120 - الرسالة من صفحة 369 الى 471.

121 - الرسالة من صفحة 453 الى 457 سير اعلام النبلاء 24/10.

122 - مطبوع على حاشية كتاب الأم 2/7-38.

123 - الام 254/7-262 باب حكاية قول من رد خبر الخاصة.

استدارتهم الى الكعبة... واستدل له السيوطي بالآية (إن جاءكم فاسق فتبينوا) ومفهومه أنه لا يجب التثبت عند أخبار العدل وذلك صادق بالواحد» .[124]

مناظرة الشافعي مع نفاة خبر الواحد

وحكى الحافظ ابن عساكر أن الشافعي كان يناظر ابراهيم بن علية في خبر الواحد. فقال له: ألست تزعم أن الحجة في إنكار خبر الواحد هي الاجماع؟ فقال: نعم. فقال له الشافعي: أخبرني عن خبر الواحد العدل: أبإجماع دفعته أم بغير إجماع؟ فانقطع ابراهيم ولم يستطع الاجابة [125].

وبمثل ذلك نسأل من يحرمون رواية الآحاد: أبإجماع حرمتموه في العقائد: أوجبتموه في الأحكام؟

فلو كان الشافعي ينفي حجية خبر الواحد في العقائد لاستطاع ابن علية أن يحتج عليه بأن يقول: وأنت هل دفعته في العقائد دون الأحكام بنص من كتاب أو من سنة أو بإجماع من صحابة؟

أما أبو حنيفة فقد قال « وخبر المعراج حق فمن رده فهو ضال مبتدع»[126]. مع أن خبر المعراج خبر واحد وموضوعه عقيدة، ولو كان خبر الواحد ممنوعاً في العقائد لما ضلل أبو حنيفة راد خبر المعراج.

---

[124] - اتحاف السادة المتقين شرح احياء علوم الدين 72/6-73.

[125] - تبيين كذب المفتري ص 340 - 341 .

[126] - الفقه الأكبر 92.

اجماع العلماء على كفاءة الصحيحين

ولا ننسى أن غالب أحاديث الصحيحين من نوع خبر الواحد، ومعلوم أن الأمة قد تلقت هذين الكتابين بالقبول والتسليم. وهي لا تجتمع على ضلالة. فإجماعها حجة على من زعم رد خبر الآحاد.

وقد أدى موقف هؤلاء إلى الطعن في أكثر أحاديث الشيخين اللذين اتفقت الأمة على صحتها وتلقتها بالقبول. وأثاروا الشك في أوثق مصدرين لهذه الأمة بعد كتاب الله.

نقل السيوطي في التدريب عن الحافظ السجزي اجماع الفقهاء أن من حلف على صحة ما في البخاري لم يحنث. ونقل عن امام الحرمين أنه قال: لو حلف بطلاق زوجته أن ما في الصحيحين من كلام النبي ε لما ألزمته بالطلاق.

ولقد صدّر البخاري ومسلم كتابيهما بحديث آحاد « إنما الأعمال بالنيات» [127] وهذا الحديث يتضمن مواضيع في العقائد. وكفى بها دعوى واكتساء ثوب الزور أن يدعي أهل الكلام أنهم أحرص على العقيدة وأدق في فن الرواية وأورع في الدين من الشيخين.

قال ابن تيمية " ان مما اجمعت الأمة على صحته : أحاديث البخاري ومسلم" [128]. مع أن غالب ما فيهما من خبر الواحد حتى قال بعض العلماء لا يوجد خبر متواتر الا أربعة أحاديث بل قال ابن الصلاح أنه لا يوجد متواتر الا حديث « من كذب علي متعمداً». وهنا يبرز سؤال مهم: اذا كان سند خبر الواحد غير قطعي الثبوت فلماذا جعل الله أكثر روايات السنة من هذا النوع؟ لا أعتقد أن هؤلاء يستطيعون الاجابة عن ذلك؟

قال ابن الصلاح في مقدمته " وما اتفق عليه البخاري ومسلم جميعه مقطوع به، والعلم اليقين النظري واقع به، خلافا لقول من نفى ذلك محتجا بأنه لا يفيد في أصله إلا الظن، وانما تلقته الأمة بالقبول ... وما انفرد به البخاري ومسلم مندرج في قبيل ما يقطع بصحته لتلقي الأمة كل واحد من كتابيهما بالقبول» [129].

وذهب الى ذلك الكوثري واحتج في ذلك بما قاله أبو المظفر السمعاني في القواطع [130] أن خبر الواحد الذي تلقته الأمة بالقبول يقطع بصدقه، ونقل عن السخاوي في فتح المغيث أن هذا القول قول جماعة من أهل العلم أن ما اتفق عليه البخاري ومسلم يفيد العلم لاحتفافه بالقرائن[131].

ونقل أبو اسحاق اسماعيل بن محمد الاسفراييني الملقب بركن الدين إجماع أهل الحديث على قبول الصحيحين فقال ما نصه:

« أهل الصنعة مجمعون على أن الأخبار التي اشتمل عليها الصحيحان مقطوع بها عن صاحب الشرع» [132] وكذا قال أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي وأبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي وابن الصلاح ومنهم الإمام عمر بن رسلان البلقيني والدكتور خليل ملا خاطر [133] ومنهم أبو بكر السرخسي كما في فيض الباري [134] والسخاوي[135] والسيوطي القائل « وهو الذي أختاره ولا أعتقد سواه» [136] والعلامة محمد السندي الحنفي.

ومنهم شاه ولي الله الدهلوي القائل « أما الصحيحان فقد اتفق المحدثون على أن جميع ما فيهما من المتصل المرفوع صحيح بالقطع وأنهما متواتران الى مصنفيهما، وأنه كل من يهوّن من أمرهما فهو مبتدع متبع غير سبيل المؤمنين» [137].

وقال محمد أنور الكشميري الديوبندي « خبر الصحيحين يفيد القطع: فان قيل ان فيهما آحاداً. قلت: لا ضير فان هذا باعتبار الأصل وذلك بعد احتفاف القرائن واعتضاد الطرق. فلا يحصل القطع الا لأصحاب الفن الذين يسر الله لهما سبحانه التمييز ورزقهم علما من أحوال الرواة والجرح والتعديل فانهم اذا مروا

---

127 - قد قالوا عن هذا الحديث: أصله آحاد لكنه من جهة الصحابي الثقة نقله عنه صحابة آخرون فصار متواتراً. ولكن لو اتفقت الأمة على راو ثقة ضابط فهل يتراجع الحزب عن موقفه من خبر الواحد ويصير عنده بعض خبر الواحد الثقة مفيدا للعلم أم أنهم لا يتراجعون؟ .

128 - مجموع الفتاوى 18 : 16

129 - التقييد والايضاح ص 41 علوم الحديث ص 25 تدريب الراوي 131.

130 - أثنى السبكي على كتابه هذا (طبقات الشافعية 343/5 محققة).

131 - نظرة عابرة 109 وانظر قوله هذا في مقالات الكوثري 135

132 - النكت على ابن الصلاح 377/1 نزهة النظر 27 شروط الأئمة الستة 21.

133 - مكانة الصحيحين 531135-139.

134 - المقدمة 45/1.

135 - فتح المغيث 51/1.

136 - تدريب الراوي133/1.

137 - حجة الله البالغة 134/1.

على حديث وتتبعوا طرقه وفتشوا رجاله وعلموا حال اسناده يحصل لهم القطع، وان لم يحصل لهم لم يكن له بصر ولا بصيرة»[138].

ومن نظر في كتب المحدثين علم يقيناً أن مذهبهم الاحتجاج بأحاديث الآحاد في العقائد فقد ملأوا كتبهم في العقائد من خبر الواحد واحتجوا بها في إثبات العقائد وأولهم البخاري أمير المؤمنين وأعظمهم حيطة في الحديث وابتعاداً عن الحديث المشكل.

ومخالفهم: موافق للمعتزلة أو موافق لنصف قول المعتزلة مخالف لفعل النبي وإجماع الصحابة والتابعين والأئمة المعتبرين.

---

138 - **مقدمة فيض الباري 45/1.**

أهل الحديث يميلون مع فتوى ابن الصلاح

وذكر ابن الصلاح أنه كان يميل الى رد خبر الواحد في العقائد قال «ثم بان لي أن المذهب الذي اخترناه أولا هو الصحيح».

وتعقب النوويُ ابنَ الصلاح قائلا «وخالفه المحققون الأكثرون فقالوا يفيد الظن ما لم يتواتر» ووافقه ابن عبد السلام[139].

غير أن كثيرين ممن جاؤوا بعد النووي أيدوا ابن الصلاح منهم الحافظ ابن كثير وسراج الدين البلقيني وابن حجر [140] وأبو اسحاق الشيرازي (إمام الشافعية) الذي قال « خبر الواحد الذي تلقته الأمة بالقبول، فيقطع بصدقه سواء عمل الكل به أو عمل البعض... فهذه الأخبار توجب العمل ويقع العلم بها استدلالا»[141]. حتى قال البلقيني « وما قاله ابن عبد السلام والنووي ومن تبعهما ممنوع فقد نقل بعض الحفاظ المتأخرين [وساق أسماءهم] أنهم يقطعون بالحديث الذي تلقته الأمة بالقبول» [142]. وهو قول ابن تيمية كما نقله الفتوحي في الكوكب المنير عنه[143].

ولهذا قال الحافظ ابن حجر « وكأنه عنى بهذا الشيخ تقي الدين ابن تيمية نقله عن بعض ثقات أصحابه» ثم رد ابن حجر على النووي من عدة وجوه».

فانظر كيف رد البلقيني كلام النووي وابن عبد السلام ورجح كلام ابن تيمية عليهما.

وقال الحافظ العراقي « وما ادعاه [ابن الصلاح] من أن ما أخرجه الشيخان مقطوع بصحته قد سبقه اليه الحافظ ابو الفضل محمد بن طاهر المقدسي وأبو نصر عبد الرحيم بن عبد الخالق بن يوسف ، فقالا: انه مقطوع بصحته».

وزاد السيوطي عليهم أبا حامد الاسفراييني والقاضي أبا الطيب والشيرازي والسرخسي والقاضي عبد الوهاب من المالكية وأبا يعلي وابا الخطاب والزاغوني من الحنابلة وابن فورك وأكثر أهل الكلام من الأشعرية وأهل الحديث قاطبة ومذهب السلف عامة بل بالغ ابن طاهر المقدسي فألحق به ما كان على شرطهما وإن لم يخرجاه»[144].

* قال الحافظ السخاوي في فتح المغيث «وسبقه [ابن الصلاح] الى القول بذلك في الخبر المتلقى بالقبول الجمهور من المحدثين والأصوليين وعامة السلف بل وكذا غير واحد في الصحيحين»[145].

قال الحافظ ابن كثير « وانا مع ابن الصلاح فيما عول عليه وأرشد اليه»[146] قال السيوطي «وهو الذي أختاره ولا أعتقد سواه»[147].

موقف النووي من خبر الواحد

وبالرغم من تعقب النووي لابن الصلاح فقد قال « ولم تزل الخلفاء الراشدون وسائر الصحابة فمن بعدهم من السلف والخلف على امتثال خبر الواحد» [148] وعلق على حديث الجساسة الطويل والذي رأى فيه الصحابة الدجال « وفيه قبول خبر الواحد»[149].

وصدق النووي في أن عامة السلف على العمل بخبر الواحد. بل ومن غير تفريق. فهذا عبد الله بن عمر سأل أباه عمر عن رواية سعد بن أبي وقاص في المسح على الخفين فقال له عمر « إذا حدثك سعد شيئا عن النبي ع فلا تسأل عنه غيره» (رواه البخاري رقم 202) فلا يظهر أن عمر يفرق بين الآحاد في الفقه وبين الآحاد في العقائد!!!

---

139 - التقييد والايضاح 41.

140 - الباعث الحثيث لابن كثير ص 33 ومحاسن الاصطلاح للبلقيني ص 101 والنكت على ابن الصلاح 173/1 ةنزهة النظر 39 .

141 - اللمع 210 وشرحه 579/2. وفرق بعضهم بين ما يفيد العلم قطعاً وما يفيد استدلالا. وهذا تكلف يناقض قاعدتهم التي ينسفون بها خبر الواحد «ما تطرق اليه الاحتمال سقط به الاستدلال».

142 - محاسن الاصطلاح 101 تدريب الراوي 133/1 للسيوطي .

143 - النكت على ابن الصلاح374/1 شرح الكوكب المنير377/1.

144 - تدريب الراوي 132/1

145 - قواعد التحديث ص 85.

146 - مختصر علوم الحديث 35.

147 - تدريب الراوي 134/1.

148 - شرح صحيح مسلم 130/1.

149 - انظر شرح النووي على مسلم 80/18.

ثم صرح النووي بأنه يعتقد ما تفيده أحاديث الآحاد المروية في صحيح مسلم فقال معلقاً على حديث ضمام بن ثعلبة المشتمل على أمور العقائد «وفي هذا الحديث العمل بخبر الواحد» وقال «وهذا عظيم الموقع وهو من أجمع الأحاديث المشتملة على العقائد فإنه ε جمع فيه ما يخرج من جميع ملل الكفر على اختلاف عقائدهم»[150].

وذكر حديث « يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي» ثم علق عليه قائلا « فاجتمع في هذا الحديث جمل من الفوائد... ومنها ما اشتمل عليه في البيان لقواعد عظيمة في أصول الدين»[151].

* واحتج الحافظ ابن حجر بحديث عائشة (وهو خبر واحد) على إثبات عذاب القبر فقال « وفي أحاديث الباب من الفوائد: إثبات عذاب القبر وأنه واقع على الكفار ومن شاء الله من الموحدين» [152].

فها هو يحتج بخبر الواحد على مسألة عقائدية.

وقال الغزالي « تواتر واشتهر عمل الصحابة بخبر الواحد في وقائع شتى لا تنحصر وان لم تتوافر آحادها فيحصل العلم بمجموعها» [153].

وقال السفاريني « يعمل بخبر الآحاد في أصول الدين وحكى الامام ابن عبد البر الاجماع على ذلك»[154].

قال الخطيب البغدادي « فمن أقوى الأدلة على ذلك ما ظهر واشتهر عن الصحابة من العمل بخبر الواحد.. وعلى خبر الواحد كان كافة التابعين ومن بعدهم من الفقهاء الخالفين في سائر أمصارنا الى وقتنا هذا ولم يبلغنا عن أحد منهم انكار لذلك ولا اعتراض عليه»[155].

وحتى الكوثري ألف كتابا بعنوان (نظرة عابرة) رد فيه على الذين ردوا خبر نزول عيسى بحجة أنه خبر واحد لا تثبت به عقيدة. وموضوع نزول المسيح آخر الزمان متعلق بالعقيدة.

---

[150] - **شرح مسلم 171/1و227.**

[151] - **الأذكار ص 368.**

[152] - **فتح الباري 240/3.**

[153] - **المستصفى 173.**

[154] - **لوامع الأنوار البهية 19/1 وانظر التمهيد لابن عبد البر 8/1.**

[155] - **الكفاية ص 31.**

خبر الواحد الثقة يفيد العلم والعمل

وقولهم أنه يفيد العمل ولا يفيد العلم قول متناقض. فإن العمل بالشيء فرع عن العلم به. وهم لما رأوا إطباق السلف والخلف على العمل بها علماً وعملاً لم يجدوا بداً من القول بأنها توجب العمل مما هو هدم لقواعدهم من الأساس.

قال ابن حجر في شرح النخبة (ص 6) « الخبر المحتف بالقرائن قد يفيد العلم خلافا لمن أبى ذلك». وقوله (قد يفيد) مهم جداً ومعناه عدم افادته العلم دائما بالضرورة. ولكن اذا ثبتت قرائن الصدق واستوفى شروط الصحة أفاد العلم.

وقال ابن حزم «" قال أبو سليمان والكرابيسي والمحاسبي وغيرهم أن خبر الواحد عن العدل الى مثله الى رسول الله ε يوجب العلم والعمل معا وبهذا نقول... واذا صح هذا فقد ثبت يقينا أن خبر العدل عن مثله مبلغا الى رسول الله حق مقطوع به موجب للعلم والعمل معا »[156].

وقال أبو المظفر السمعاني الشافعي « إن الخبر إذا صح عن رسول الله ε ورواه الأئمة الثقات وأسنده خلفهم عن سلفهم الى رسول الله وتلقته الأمة بالقبول فإنه يوجب العلم فيما سبيله العلم، هذا عامة قول أهل الحديث والمتقنين من القائمين على السنة، وإنما هذا القول الذي يذكر أن خبر الواحد لا يفيد العلم بحال ولا بد من نقله بطريق التواتر لوقوع العلم به شيء اخترعته القدرية والمعتزلة وكان قصدهم منه رد الأخبار»[157]. وذكر مثله في كتاب القواطع الذي أثنى عليه السبكي في طبقاته (343/5).

وهذا القول ليس فقط قول ابن حزم كما يدندن حوله التحريريون ولكنه قول ابن حجر وابن الصلاح والسيوطي وابن كثير وجملة من الأئمة، وليس من العقل ترك أهل هذا الفن لحزب التحرير.

وانا لنلاحظ تناقضا في قول النووي « ويفيد الظن ولا يفيد العلم» إذ كيف تقوم الحجة على العباد بالظن، اللهم أن يكون الظن عنده بمعنى الظن الراجح لا ظن الخرص والتخمين والقرينة تكون من كلام النووي في موضع آخر حيث علق على حديث الجساسة بأنه يفيد الأخذ بخبر الواحد[158].

---

[156] - الإحكام في أصول الأحكام 119/1-124.

[157] - رسالة الانتصار لأهل الحديث اختصرها السيوطي في صون المنطق والكلام ص 160-167.

[158] - شرح مسلم بشرح النووي 80/18.

قاعدة أساسية حاسمة للمسألة

ثم إن كان إفادة الخبر الواحد للعلم مما اختلف أهل العلم فيه فإنهم لم يختلفوا في وجوب الأخذ به والعمل به مطلقاً الا عند أهل الكلام من الأشاعرة والماتريدية ومن وافقهم..

وعلى الأقل اذا لم يوافقوا أهل السنة في افادة خبر الواحد الثقة المستوفي لشروطه العلم فليوافقونا على افادة الصحيحين للعلم فقد قال ابن الصلاح في مقدمته « وما اتفق عليه البخاري ومسلم جميعه مقطوع به، والعلم اليقيني النظري واقع به، خلافا لقول من نفى ذلك محتجا بأنه لا يفيد في أصله الا الظن، وانما تلقته الأمة بالقبول».

ولعلك تتساءل: ما لا يفيد علما كيف يجوز أن يقوم به شرع من تحليل وتحريم واباحة فروج واباحة دماء؟ وأيضاً فالحجة انما تقوم بما يحصل به العلم لا بما لا يعلم صدقه من كذبه.

ولو كانت رواية الآحاد غير مفيدة للعلم لما أبيح قتل المقر بالقتل على نفسه، ولا بشهادة اثنين عليه ولا بشهادة الأربع على الزاني ولا الشاهدان أو الشاهد والشاهدتين في التبايع لأن الشهود ما زال خبرهم واحدا وان كانوا أربع شهود.

وكفى بهذه التحديدات المنصوص عليها لقبول الخبر حجة على من يحددون تحديدات من عند أنفسهم ما أنزل الله عليهم بها بكتاب من عنده. ولكن علم الله أن رواية الواحد الثقة الثبت تقوم بها الحجة فلم يشترط للخبر في العقيدة عددا مشروطاً من الرواة كما حدد للزنى والقتل والتبايع أرقاماً محددة. وانما يجب أن يكون التحديد من عند الله حتى نأخذ به لا من عند حزب التحرير

أهل الحديث هم أهل الاحتياط لا أهل الكلام

وقد زعموا أن العلماء احتاطوا في الاحتجاج بالأخبار الواردة في الصفات فاشترط الأشاعرة القطعي الثبوت وهو المتواتر[159].

فمن هم أول المحتاطين؟ إنهم الجهمية والمعتزلة.

ولم يكن «العلماء» المحتاطون إلا ثلة من نفاة الصفات تذرعوا بالاحتياط ليتوصلوا به الى نفي صفات الله التي وصف بها النبي ع ربه والتي تتعارض مع قواعد علم الكلام. فقد ذكر الحافظ ابن حجر أن المعتزلة أنكروا صحة الأحاديث الواردة في الصفات كالنزول وغيره[160].

وإنما كان الطعن في خبر الواحد قاسماً مشتركاً بين الفرق الضالة كالفلاسفة والجهمية والمعتزلة التي وجدت أن أكثر أحاديث الصفات من الآحاد فأرادت أن توجد لنفسها مبرراً لردها، فابتدعت القول بأن أحاديث الآحاد مردودة وأنها ليست حجة ولا يستدل بها.

هل هم أكثر احتياطا من البخاري ؟

قال ابن حجر « الذي يظهر من تصرف البخاري في كتاب التوحيد أنه يسوق الأحاديث التي وردت في الصفات المقدسة فيدخل كل حديث منها في باب، ويؤيده بآية من القرآن للاشارة الى خروجها عن أخبار الآحاد على طريق التنزل في ترك الاحتجاج بها في الاعتقاديات» [161].

أي من باب التنزل معه لا موافقة له، فقد حشد البخاري كثيرا من أحاديث الآحاد في مسائل الصفات وغيرها من العقائد، وقد علمت أنه ترك احتياطاً أحاديث صحيحة كثيرة ولم يختر منها الا ما استوفى أشد شروط الصحة ومنها أخبار آحاد كثيرة ذكر كثيرا منها في كتاب التوحيد ضمن صحيحه.

وانما كان يؤيد الأحاديث بآية من القرآن حتى لا يبقي مجالا للهاربين من الحق بزعمهم أن هذا الحق خبر واحد، فهو يدعمه بآية من القرآن. وهذا يؤكد أنهم كانوا يتهربون من أحاديث الصفات بهذه الذريعة.

ولقد شهد الحافظ بتناقض فكرتهم فقال « وقد تناقض من قال انه لا يقبل الحكم الزائد على القرآن الا ان كان متواترا أو مشهورا»[162].

وهؤلاء لا يمكنهم أن يقولوا: اشترط الشافعي اشترط أحمد لأنهم يعلمون أن الشافعي كتب مئة صفحة في كتابه «الرسالة» في تثبيت خبر الواحد العدل وحجيته وفي كتاب « اختلاف الحديث». فكيف اذا علمت أن الشافعي ضلل من كانوا يدعون هذا الاحتياط؟

فالاعتبار قام بتثبيت الشافعي وغيره لخبر الواحد الثقة مطلقا من غير تخصيص. ووقف الحافظ ابن حجر في الفتح موقف الشافعي نفسه. وقال أحمد لما سئل عن أحاديث الرؤية «أحاديث صحاح نؤمن بها ونقر، وكل ما روي عن النبي ع بأسانيد جيدة نؤمن به ونقر»[163].

فأهل الحديث أولى بالحكم على خبر الواحد من أهل الكلام، ورأيهم في خبر الواحد هو الأولى بالأخذ من رأي فروع المعتزلة والجهمية.

والقيد الذي أفاده قول الشافعي « خبر الواحد العدل» يفيد بأنه ليس كل خبر واحد يقبل مطلقا وإنما خبر الواحد الثقة العدل الضابط المتصل السند، هو المقبول دون غيره من الآحاد التي لم تستوف الشروط.

سلفهم في الطعن بخبر الواحد

لقد كان أول المحتاطين ابراهيم بن اسماعيل بن علية أحد كبار الجهمية الذي كان معاصراً للشافعي، قال عنه الذهبي « جهمي هالك» [164] وقد ناظره الشافعي وأبطل حجته في إنكار خبر الواحد، ولما بلغه إصراره على إنكار خبر الواحد قال « إن ابن علية ضال، قد جلس بباب الضوال يضل الناس»[165].

التأويل ظن شر من خبر الواحد

وهو ظن مأخوذ به عندهم في العقائد. فليس الطاعنون في خبر الواحد من أتقياء هذه الأمة. إذ لو كان عندهم ورع لتورعوا عن التأويل الذي اعترفوا جميعا بأنه محتمل ولا يمكن القطع أن يكون مراداً لله[166].

---

[159] - التوحيد للماتريدي ص 8.

[160] - فتح الباري 30/3 وهذا الموقف هو نفس موقف الجويني.

[161] - فتح الباري 359/13

[162] - فتح الباري 293/13 وانظر 2/6و68 و355/13.

[163] - شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (507/3) رقم (889).

[164] - ميزان الاعتدال 20/1

[165] - مناقب الشافعي للبيهقي تحقيق صقر 211/1 و210/2 تبيين كذب المفتري 340-341 سير الأعلام 24/10.

فأيهما أكثر ظنا من الآخر: خبر الواحد أم تأويلات الأشاعرة التي اعترف أئمتهم أنها محتملة لا يمكن القطع أن تكون مرادة لله. فكان من باب أولى أن يتركوا التأويل، لكن الله جعل هذا من أعظم علامات تناقضهم وعدم صدقهم، ولو صدقوا لتركوا التأويل لأنه أكثر ظناً من خبر الواحد.

وليس هناك من دليل واحد على الأخذ بخبر الواحد في الأحكام دون العقائد. ولم يقل أحد من الأئمة لا الشافعي ولا أبو حنيفة ولا أحمد ولا مالك أن خبر الواحد يقبل في الأحكام ويرد في العقائد مع أن الشافعي أول وأبرز واضعي علم الأصول.

الاختصاص لأهل الحديث لا لأهل الكلام

ان الاعتبار في افادة اخبار الآحاد العلم: هم أهل الحديث دون من عداهم فكما أن أهل الطب يرجعون الى الطبيب لا الى النجار فكذلك الرجوع في خبر الواحد الى أهل الحديث: فهم العالمون بأحوال نبيهم الضابطون لأقواله وأفعاله وهم أدرى بحديثه من غيرهم.

فقد أفنوا أعمارهم في دراسة الحديث وحفظه فلا يقارن بهم من خاض في علم الكلام وأفنى عمره فيه واشتغل به عن علم الحديث. والبخاري أمير المؤمنين في علم الحديث ونجد عنده كتابا كاملا في صحيحه اسمه (كتاب أخبار الآحاد) أثبت فيه حجية خبر الواحد واحتج فيه بأخبار آحاد في العقائد ذكر منها بعث النبي ε رسولاً الى كسرى يدعوه فيها الى الاسلام فمزق الرسالة فدعا عليه أن يمزقوا كل ممزق.

---

[166] - أنظر كتاب التوحيد للماتريدي 74 الملل والنحل للشهرستاني 138/1 الاتقان للسيوطي 221/2.

الحجـــة الدامغـــة

فهي رسالة في العقيدة موضوعها الدخول في الاسلام وقبول لا اله الا الله، يسلمها الى كسرى مخبر واحد، وقد حصل بها تبليغ الدين وقامت بها الحجة على كسرى. ولو لم تقم الحجة ما دعا عليه النبي ع بتمزيق ملكه.

وقد ذكرها البخاري في كتاب التوحيد: باب تثبيت خبر الواحد واحتج بقصة كسرى وهي قصة تتعلق بالاعتقاد لا بالأحكام. وبمقتضى هذا الحديث يمكن التأكيد أن البخاري إنما أراد بهذا الفصل إثبات خبر الواحد الثقة في الدين كله: عقائد وأحكام.

يضاهئون قول المبتدعة من قبل

وبقي هذا الاجماع حتى أحدث الأشاعرة فتنة رد خبر الواحد في العقائد دون الأحكام وهو شطر قول المعتزلة. وهو ليس أول مضاهاة للمعتزلة، فانهم أخذوا عنهم أكثر تأويلاتهم، وأشتروا منهم آلة علم الكلام. فهم ليسوا محدثين. قال تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً) (النساء 115).

والأشاعرة والمعتزلة ليسوا من المتميزين بالاشتغال بطلب الحديث وحفظه، ولهذا يرى المرء تناقضاً واضحاً بين تشديدهم في خبر الواحد وبين ما يجده في مصنفاتهم من الروايات الواهية والضعيفة، فلم يفوا بما التزموه وألزموا الناس به.

لقد رأينا كثيرين ممن يمنعون خبر الواحد في العقائد عندما ينتقلون من موضوع الصفات الى مواضيع أخرى كالتوسل والاستغاثة بالأموات يحتجون بما هو أدنى من خبر الواحد، رأيناهم يحتجون بالضعيف بل وبالموضوع من الروايات.

ويتجاهل الحزب وهو حنفي المذهب وأكثر مصادره من كتب الحنفية وأئمتهم أن الأحناف يتناقضون كثيراً فانهم يوجبون أحكاماً كثيرة بما هو أضعف من خبر الواحد بل بروايات شديدة الضعف بل ربما كان لا أصل لها كإيجابهم الوضوء من الرعاف والقيء والقهقهة في الصلاة.

وغاية أدلة التحريريين أن يحتجوا بأشاعرة أو ماتريدية مثلهم كأن يقولوا: قال الأسنوي. قال الآمدي. قال السرخسي قال الرازي قال الجويني. وحينئذ اذا ثبت أنهم أشاعرة ماتريدية فلا يليق بالسني الفطن أن يجادلهم في خبر الواحد وانما بعلم الكلام الذي ذمه كافة الأئمة ولا يزال الأشاعرة يستمسكون به ويستعصمون به حتى اليوم فهو ما زال عندهم العروة الوثقى.

أما أن يقولوا قال الله قال رسوله قال الشافعي قال أحمد قال مالك فلن يستطيعوا أن يحتجوا بواحد من هؤلاء، لأنه ما من أحد منهم اشترط هذا الشرط بل قبول خبر الواحد الثقة هو الثابت عنهم.

فائدة مهمة

وهؤلاء الماتريدية والأشاعرة اذا جادلوك في مسائل التوسل والتبرك والزهديات والاستغاثة بغير الله يحتجون بأحاديث ضعيفة بل موضوعة، ولا يظهر عليهم التقيدبما اشترطوه. وأما هنا فانهم يرفضون الأخذ بخبر الواحد في العقيدة وإن كان في مسلم والبخاري:

فمن أمير المؤمنين في الحديث: البخاري أم النبهاني وحزبه؟

متى طرأت فكرة رد خبر الواحد في العقائد

وقد طالبنا عمر بكري وغيره أن يأتونا بعالم واحد معتبر من علماء الأمة قبل ظهور المذهب الأشعري اشترط للعقائد المتواتر فقط دون الآحاد فعجزوا ولم يستطيعوا أن يأتوا بعالم واحد.

حقيقة قولهم هو قول المعتزلة

فقد بدأت فكرة تحريم الأخذ بخبر الواحد في العقائد ووجوب الأخذ به في في الاحكام عند المعتزلة قبل الأشاعرة، فقد قال القاضي عبد الجبار المعتزلي « يجوز الأخذ بخبر الواحد اذا ورد بشروطه، فأما قبوله فيما طريقه الاعتقادات فلا»[167].

قال عبد القاهر البغدادي » وكان الخياطي (المعتزلي) منكر الحجة في أخبار الآحاد، وما أراد بإنكاره إلا إنكار أكثر أحكام الشريعة فإن أكثر فروض الفقه مبنية على أخبار من أخبار الآحاد»[168].

---

[167] - شرح الاصول الخمسة 769.

[168] - فرق بين الفرق 165

وهذا الذي قاله البغدادي يقال له ولأصحابه الأشاعرة الذين التزموا نصف قول المعتزلة فحرموا خبر الواحد في العقائد وأوجبوه في الأحكام.

فيقال له قولا شبيها بقوله الذي خاطب به المعتزلة:

وما أردتم أيها الأشاعرة - عفا الله عنكم - بإنكاركم خبر الواحد في العقائد إلا إنكار أحاديث الصفات الإلهية لا سيما الفعلية منها، فإن أكثر مسائل الصفات الالهية خاصة - ومسائل العقيدة عامة - مبنية على أخبار من أخبار الآحاد!!!

لا قيمة لقوانين أهل الكلام والجدل

وأهل الكلام لا معرفة لهم بالسنن وهم جريئون عليها جرأتهم على القرآن. قال البغدادي « وانما دفع خبر الآحاد بعض أهل الكلام لعجزه عن علم السنن»[169] والبغدادي واحد من أهل الكلام.

فتوى أبي مظفر السمعاني [170] حول خبر الواحد

ونقل السيوطي رحمه الله عن أبي مظفر السمعاني أن القول بأن أخبار الآحاد ليست حجة هو قول أهل البدع في رد الأخبار واخترعته المعتزلة وهو قولهم أن خبر الواحد لا يفيد العلم بحال. وتلقفه عنهم بعض الفقهاء الذين لم يكن لهم في العلم قدم ثابت. ولو أنصف أهل الفرق لأقروا بأن خبر الواحد يوجب العلم، فإنك تراهم مع اختلافهم في طرائقهم وعقائدهم يستدل كل فريق منهم على صحة ما يذهب اليه بالخبر الواحد».

« ومشهور معلوم: استدلال أهل السنة بالأحاديث ورجوعهم اليها، فهذا إجماع منهم على القول بأخبار الآحاد».

« وكذلك أجمع أهل الاسلام على رواية أحاديث صفات الله وفي مسائل القدر والرؤية وأصل الايمان والشفاعة والحوض... فإذا قلنا إن خبر الواحد بها لا يجوز أن يوجب العلم حملنا أمر الأمة في نقل هذه الأخبار على الخطأ وجعلناهم لاغين هاذين مشتغلين بما لا يفيد أحدا شيئا... وربما يترقى هذا القول الى أعظم من هذا. فإن النبي أدى هذا الدين الى الواحد فالواحد من أصحابه ليؤدوه الى الأمة وينقلوا عنه، فاذا لم يقبل قول الراوي لأنه واحد رجع هذا العيب الى المؤدى، نعوذ بالله من هذا القول الشنيع والاعتقاد القبيح، ويدل عليه أن النبي ε بعث الرسل الى الملوك وكتب اليهم كتبا... وانما بعث واحدا ودعاهم الى الله تعالى والى التصديق برسالته لالتزام الحجة وقطع العذر... وهذه المعاني لا تحصل الا بعد وقوع العلم... فلو لم يقع العلم بخبر الواحد في أمور الدين لم يقتصر ε على إرسال الواحد من أصحابه في هذا الأمر»[171].

أفاد كلام أبي المظفر رحمه الله:

- أن أصل الجدل حول خبر الواحد انما هو بدعة المعتزلة.
- أن الفقهاء تلقفوا ذلك عنهم فلا يجوز بعد هذا التلقف الاحتجاج بأقوالهم دون النظر الى موقف السلف وأئمة الحديث ممن لم ينصوا على شيء من ذلك.
- أن النبي كان يتعامل بخبر الواحد في دعوة الناس من أديان الكفر الى دين الاسلام.
- أن خبر الواحد الثقة يحصل به العلم وتقوم به الحجة إذ كيف تقوم به الحجة بشيء لا يحصل به علم، أو كيف تقوم الحجة بالظن والشك؟!
- أن ما تقوم به الحجة في الدعوة الى الاسلام تقوم به الحجة في الخبر عن صفات الله وتفاصيل أمور العقائد الأخرى.
- أن السيوطي نقل هذا الكلام عن السمعاني مستحسنا اياه مما يؤكد تأييد السيوطي لموقف السمعاني من خبر الواحد.

ما مدى علاقة أهل الكلام بالحديث

وهكذا موّه أهل الكلام على الناس فلبسوا ثوب أهل الحديث بكلامهم على خبر الواحد، وهم لا يتقنون صناعة الحديث[172] ولا ينبغي لهم وما يستطيعون التمييز بين المتواتر والآحاد بهذه السهولة؟ اذ كانوا عاكفين على دراسة المنطق والفلسفة لا على كتب الحديث.

فقد ذكر الرازي حديث « الدجال أعور وأن الله ليس بأعور» ثم قال « إنه من البعد صدور مثل هذا الكلام عن الرسول» وزعم أن رواية (حتى يضع الرب رجله) ضعيفة[173]. وهذا جهل وقلة أدب مع النبي ε وتطاول على فن الحديث.

---

[169] - الفقيه والمتفقه 97/1 - 98.

[170] - قال السبكي في طبقاته (343/5) « قال الجويني: لو كان الفقه ثوبا طاويا لكان أبو المظفر بن السمعاني طرازه. وقال ابنه أبو القاسم: أبو المظفر السمعاني شافعي وقته. وقال علي بن أبي القاسم الصفار: اذا ناظرت أبا المظفر فكأني أناظر رجلا من التابعين. وأثنى السبكي على كتابه القواطع في أصول الفقه.

[171] - صون المنطق 160-174

[172] - أنظر قول الحافظ ابن حجر فيه (تهذيب التهذيب 426/4-429) .

وزعم الجويني أن الحشوية تتمسك بحديث « ان الله خلق آدم على صورته» وزعم أن هذا الحديث غير مدون في الصحاح»[174]. مع أن الحديث في البخاري ومسلم [175].

وزعم أن حديث النزول ليس بمتواتر وباطل. وأنه لو أضرب عن جميع أخبار الآحاد وعدم اعتبارها لكان سائغاً». ثم رد حديث «الايمان بضع وسبعون شعبة» وزعم أنه مؤول لأنه من الآحاد[176]. مع أنه كثيراً ما يحتج بأخبار الآحاد في إثبات عقيدة الصراط والحوض والميزان...الخ.

وزعم الغزالي أن أكثر أحاديث التشبيه غير صحيحة. وهذا ما دعا الحافظ ابن حجر الى التصريح بعدم خبرته هو والجويني بكتب الحديث المشهورة فضلا عن غيرها[177].

وهذا شيء اعترف به الغزالي فقال « بضاعتي في الحديث مزجاة»[178].

ولقد أنصف الشيخ محمد بن درويش الحوت حين صرح بأن الغزالي لا يعتمد عليه في الحديث لذكره في كتاب الاحياء جملة من الأحاديث الموضوعة [179].

وأما ابن فورك فهو أبعد الناس عن فن الحديث. قال الحافظ ابن حجر «وبالغ ابن فورك فجزم بأن لفظ (الرجل) غير ثابتة عند أهل النقل، وهو مردود لثبوتها في الصحيحين»[180].

وكان يورد أحاديث موضوعة كثيرة ثم يؤولها على طريقة الباطنية مما جعل الكوثري يطعن فيه ويصف طريقته في التأويل بأنها جارية على نمط تأويلات القرامطة[181].

وهؤلاء هم من جملة من زعموا أن خبر الواحد مردود في العقائد مانعين ما لم يمنع منه أحمد ولا الشافعي.

وبهذا يتبين لك أن هؤلاء في طريق وأهل الحديث في طريق آخر.

---

173 - اساس التقديس 159و186.
174 - الارشاد 152-153.
175 - انظر البخاري (6227) ومسلم (2612).
176 - أنظر الارشاد 161-399.
177 - أنظر التلخيص الحبير 256/1 و19/2و50و275 وانظر الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي 177 ط مكتبة الجندي تحقيق أبو العلا.
178 - قانون التأويل 16.
179 - أسنى المطالب ص 572.
180 - فتح الباري 596/8.
181 - تعليق الكوثري على الأسماء والصفات للبيهقي ص 452.

نماذج من جرأة أهل الكلام وتطاولهم

وخذ مثالا على جرأتهم وتطاولهم ما قاله الرازي « إن أجلّ طبقات الرواة قدراً وهم الصحابة: ثم إنا نعلم أن رواياتهم لا تفيد القطع واليقين»[182]. وقرر من قبل أن الأدلة النقلية كلها غير يقينية.

وقد نقل الجويني عن ابن فورك قوله « إن اتفقوا [أي الأئمة] على العمل به [أي خبر الواحد] لم يُحكم بصدقه».

ونقل قول القاضي « لا يحكم بصدقه وإن تلقوه بالقبول قولا وقطعاً.

قيل له لو رفعوا هذا الظن عنه وباحوا بالصدق فماذا تقول؟

قال: لا يُتصوّر هذا فإنهم لا يتوصلون الى العلم بصدقه ولو قطعوا لكانوا مجازفين وأهل الاجماع لا يجتمعون على باطل»[183].

وفي هذا نسف لأغلب أحكام الدين فان المتواتر قليل الى حد الندرة. قال العلامة صديق حسن خان " وغالب السنة الشريفة آحاد والعمل بها واجب محتم" وقال ابن حزم « أكثر السنة منقولة بطريق الآحاد»[184].

وهكذا باسم الاحتياط توصل هؤلاء الى رد أكثر السنة. فهذا والله ليس دفاعاً عن الدين وانما هدم له.

---

[182] - أساس التقديس 216

[183] - البرهان في أصول الفقه 379/1.

[184] - الدين الخالص 3: 284 الاحكام لابن حزم 121/1-122.

التخريج العقلاني للأخبار

وذكر الجويني أول علامات صدق الحديث أن يأتي موافقاً للعقل[185].

وقال أبو منصور البغدادي « فإن روى الراوي ما يحيله العقل، ولم يحتمل تأويلا صحيحاً فخبره مردود... وإن كان ما رواه الثقة يروع ظاهره في العقول ولكنه يحتمل تأويلا يوافق قضايا العقول قبلنا روايته وتأولناه على موافقة العقول». وضرب لذلك مثلا بحديث « أن الله يضع قدمه في النار»[186].

فضابط صحة الخبر عند هؤلاء قبولا ورداً إثباتاً وتأويلا هو العقل..

ولو اتبع الحق أهواءهم (عقولهم) لضاع ما جاء به محمد ε.

---

185 - البرهان في أصول الفقه 369/1.

186 - أصول الدين23.

نطالبكم بدليل متواتر يحدد العقائد بالمتواتر

ثم إن قولهم « حديث الآحاد لا تثبت به عقيدة» هو في ذاته عقيدة، فإنهم اشترطوا أن تكون العقيدة مبنية على النص القاطع الصريح والسند المتواتر وأنه لا مجال للرأي في العقائد.

فأين الدليل من كلام الله أو رسوله أو السلف على هذه العقيدة؟

أين التواتر على ما اعتقدتموه في ذلك؟ هذا كاف لابطال كل استدلالاتكم.

الشريعة هي التي تحدد أعداد الشهود

هذا أمر يجب النظر فيه الى موقف الشرع منه، والشرع جاء بتحديد أعداد المخبرين والشهود في بعض المسائل كشهادة الاثنين على القاتل وفي التبايع وأجاز خبر الواحد في رؤية الهلال بينما لم يجز شهادة أقل من أربع في الشهادة على الزنا. فلا يجوز أن تهتم الشريعة ببيان تحديد عدد الشهود ورواة الحوادث في حين تترك بيان تحديد الرواة في العقائد، ثم يؤدي هذا السكوت الى الاختلاف؟

فاذا لم تحدد الشريعة المتواتر في أمور العقيدة فهذا يعني الاطلاق ولا يجوز تقييد هذا الاطلاق برأي لا سلف للرائي فيه، فان العموم يجب أن يبقى على عمومه حتى يأتي ما يخصصه.

حجـــة دامـغـــة

والرسول اراد ضمان عصمتنا من الضلالة فقال « تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي» والضلالة هي انحراف في الاعتقاد. فكيف يضمن عصمتنا من ضلالة الاعتقاد بسنة أكثر رواياتها من أخبار الآحاد!

ولو كان هناك تحديد لنبهنا عليه كما حذرنا من الكذب عليه حين قال « من كذب علي متعمدا». ولم ينه عن أخذ خبر الواحد في العقائد بل الثابت عنه أنه كان يرسل آحاد الناس لتعليم الدين كله لا فروعه فقط. ولا يعقل أن يرسل رسول الله ع الى ملك قيصر وكسرى وفارس من يعلمهم أحكام الطهارة والبيوع وحكم الأكل باليمين والشرب واقفاً وهم لم يسلموا بعد!

الذين تصف ألسنتهم الكذب

وتحريم ما لم يحرمه الله من أعظم الفرية عليه وهو تشريع بما لم يأذن به الله وافتراء عليه، قال تعالى (أم شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) (الشورى21) (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) (النحل 116).

فتحريم ما لم يحرمه الله ذنب أعظم من ذنب نزول الرماة عن الجبل يوم غزوة أحد بعدما أمرهم الرسول ع بالثبات عليه يوم غزوة أحد.

واذا كادت الهزيمة أن تحل لمجرد عصيان صغير فكيف بضلالات هذه الفرق التي تنادي حكامها بتحكيم الشريعة بينما هي لا تتحاكم اليها؟

ما زال على العاملين للاسلام جماعات وأفراد مزيد من الخضوع والتسليم لهذا الدين والانقياد للحق بلا تكلف وأن ينفضوا عنهم غبار التقليد والتبعية والتعصب.

لأن معاندة الدعاة الى الله ومراوغتهم عن الحق أمقت عند الله من معاندة من سواهم من عامة الخلق.

والا فإن وجود حكام لا يتحاكمون الى الشريعة انما هو تسليط وعقوبة ونتيجة لوجود إسلاميين لا يتحاكمون الى الشريعة. يدعون الى التقليد وتأويل الصفات والابتداع في الدين ويجادلون عن التصوف وعلم الكلام والجدل ومع هذا يطالبون الحكام بتعظيم شرع الله بينما هم لا يعظمونه! والجزاء من جنس العمل: فلما كان كثيرون دينهم الرسمي الاسلام: من غير أن يتحاكموا اليه ولا يعملوا به سلط الله عليهم من يقولون: دين الدولة الرسمي الاسلام من غير أن يتحاكموا اليه ولا يطبقوه:

(ان الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون).

يجعلون للظن منزلة في الشريعة

والظن مذموم بعمومه وهؤلاء أوجبوه في قسم من الشريعة وحرموه في جانب آخر. وجعلوا منه مصدراً للتشريع ويميزون بين الحلال والحرام بالظني.

قال تعالى (وإن الظن لا يُغني من الحق شيئاً) [يونس36] فجعلوه مغنٍ من الحق في الأحكام غير مغنٍ من الحق في العقائد. فكان الآية صارت عندهم هكذا :

وإن الظن لا يغني من العقائددون الأحكام شيئاً!

بينما لم يجعل الله للخرص منزلة واصفاً الظن بأنه وهم وخرص (إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون) [الأنعام 148] وهذا الوهم والخرص لا منزلة له في الدين لا في العقائد ولا في الأحكام. غير أن هؤلاء جعلوا للخرص منزلة مقبولة في قسم الأحكام الشرعية من الدين.

مسائل الأحكام مرتبطة بعقيدة

إن أي مسألة في الأحكام لا بد أن يصحبها اعتقاد بتحريمها أو تحليلها، وكيف تستسيغ العقول قبول حكم شرعي دون الإيمان به أولاً؟ فمثلاً إن من حرم علي نفسه نكاح المرأة على عمتها أو خالتها فإنه يحرم ذلك اعتقاداً منه أن الله قد حرم عليه ذلك، وهذا التحريم ثابت بخبر الواحد.

فهناك أحاديث تتضمن كلاما في أمور الفقه وآخر في العقائد كحديث « اذا جلس أحدكم في التشهد الأخير فليستعذ بالله من أربع. يقول: اللهم اني أعوذ بالله من عذاب القبر ومن عذاب الجهنم ومن فتنة المسيح الدجال». وحديث معاذ بن جبل « انك تدعو قوما أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم اليه لا اله الا الله».

وحتى أحاديث الأحكام تتعلق بالعقائد حتما ومثال ذلك: مسألة النية. فمن توضأ لمجرد النشاط أو يصلي لمجرد الرياضة أو يحج للسياحة، ولا يعتقد انه يفعل فعلاً أوجبه الله عليه لم يستفد من فعله ذلك.

الهاربون من الظن واقعون فيه

واذا سألناهم: ما هو تحديد المتواترعندكم؟ فلن يملكوا اجابة صحيحة لأنهم لم يستقروا على عدد معين.

فان حددوا أقله بعشرين قلنا هل قبول تسعة عشر حرام فإن قالوا: نعم. طولبوا بالدليل على كلا الرقمين. فإن قالوا المتواتر يكون تارة خمسة عشر بالنسبة لبعض وتارة عشرون لآخرين، قلنا: . اذن رجعتم الى الظن.

واذا كنتم تشترطون في قبول الآحاد أن يكون مجمعا على تصحيحه عند أهل العلم قلنا لكم: ايتونا باجماع اهل العلم على تحديد التواتر. لن تجدوا قولا واحدا يتناسب مع القول الآخر.

الجويني يشهد باضطراب نفاة خبر الواحد

فقد قال الجويني « ومما يشترط في الخبر المتواتر صدوره عن عدد. وقد اضطرب الناس في ذلك اضطراباً فاحشاً:

فذهب قوم الى اعتبار الأربعين: مصيراً الى عدد الجمعة عند بعض الفقهاء.

واعتبر آخرون السبعين لقوله تعالى (واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا).

وذكر بعضهم عدد رجال بدر، وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر.

وذكر بعضهم عدد أهل الرضوان وكانوا ألفاً وسبعمائة.

وقال طوائف من الفقهاء: ينبغي أن يبلغوا مبلغا لا يحويهم بلد ولا يحصيهم عدد. قال الجويني « وهذا سرف ومجاوزة حد، وذهول عند مدرك الحق[187].

أضاف « فلا وجه لاعتبار شيء منه [أي هذه الأقوال] « ولا يتوقف حصول العلم بصدق المخبرين على حد محدود وعدد معدود، ولكن اذا ثبتت قرائن الصدق ثبت العلم به... ولا تعويل على العدد بمجرده أصلا»[188].

وعند أهل الكلام: اذا اختلف في المسألة صارت ظنية وعدنا الى الظن من حيث هربنا منه.

واذا قلنا ان الاجماع منقوض والاختلاف هو الصحيح عدنا الى أن القضية صارت ظنية لأنها صارت خلافية فكيف بنيتم على الظن؟

ولو فرضنا أن الأمر مجمع عليه فقد اعترف عمر بكري بأن الإجماع مختلف في اعتباره بين الأئمة[189]. ومع ذلك فإنهم يدعون إجماعات كثيرة اذا تفحصتها وجدتها ظنونا وأوهاما وتفردات لأهل الكلام. وهم يزعمون أمام العامة من الناس أن ترك خبر الواحد في العقائد أمر مجمع عليه بين سائر أهل العلم وهم يعلمون في قرارة أنفسهم أنه ليس ثمة إجماع.

ثم بتقدير ان هناك خلافاً ماذا نفعل اذا اختلفنا فالى من نرجع والى من نحتكم؟ الى عقولنا: إن العقول مختلفة في ذلك؟ أم الى الكتاب والسنة؟ والكتاب والسنة لا يحويان شيئاً من شروطكم!

---

[187] - البرهان في أصول الفقه 1/370-371

[188] - البرهان في أصول الفقه 1/374-375.

[189] - شريط الصيام 259.00.

نفاة خبر الواحد مختلفون فيما بينهم

وقد ثبت أن الطاعنين في خبر الواحد متناقضون مختلفون. فمنهم من لا يقبل خبر الواحد في الأحكام ومنهم من يستثني الحدود من الأحكام ومنهم من يُخرج المشهور من الآحاد ويجعله من المتواتر. ومنهم من يُخرج المتواتر المعنوي من أخبار الواحد.

قال أبو بكر الجصاص إمام الحنفية «ما تلقاه الناس بالقبول من أخبار الآحاد فهو عندنا في معنى المتواتر، فيجوز تخصيص القرآن به، وهذه صفة هذا الخبر، لأن الصحابة قد تلقته بالقبول واستعملته»[190] فهو يلحق المشهور بالمتواتر، وكذلك قال الشيخ قاري « وأحاديث الآحاد لو ثبتت إنما تكون ظنية اللهم الا اذا تعددت طرقه بحيث صار متواتراً معنوياً فحينئذ قد يكون قطعياً[191] وخالفهم الجمهور فاعتبروه من قسم الآحاد».

والحنفية لا يأخذون بالآحاد في الحدود مستدلين بقول النبي ε «إدرؤا الحدود بالشبهات» والحدود من باب الأحكام وليس العقائد.

---

[190] - **الفصول ص 403 أحكام القرآن 386/1 ط دار الكتاب العربي.**

[191] - **الفقه الأكبر 83.**

تناقضهم حول وجوب العمل بخبر الواحد

وقد حكم الجويني أيضا على الفقهاء القائلين بأن خبر الواحد (لا يوجب العلم ويوجب العمل) بأنهم متساهلون وأن المقطوع به: أن خبر الواحد لا يوجب العلم ولا يوجب العمل. قال: فلو ثبت وجوب العمل به لثبت العلم بوجوب العمل»[192].

وقد تقدم أن المتواتر في أحكام الدين قليل الى حد الندرة. قال العلامة صديق حسن خان "وغالب السنة الشريفة آحاد والعمل بها واجب محتم" وقال ابن حزم «أكثر السنة منقولة بطريق الآحاد»[193]. وهكذا باسم الاحتياط توصل هؤلاء الى رد أكثر السنة. فهذا والله ليس دفاعاً عن الدين وانما هدم للدين.

سلسلة تناقضاتهم تفتح باب الطعن في الدين

ومن تناقضهم أنهم جعلوا خبر الواحد مظنوناً مع تجويزهم أن يكون في نفس الأمر كذباً أو خطأ، ثم يوجبون العمل به مع ما يخالج نفوسهم من احتمال كونه باطلا. ولا شك أن هذا التوقف يدفع الثقة بأصول الدين وفروعه. ويفتح باب الطعن في مصادر هذه الأمة. فيتسلط الأعداء على المسلمين بتمكين من المسلمين أنفسهم من حيث لا يشعرون، ويتهمونهم بإيجاب العمل بالخرص والظن. كأن يقولوا لهم كيف يأمر الله بما قد نهى عنه وهو الظن والخرص؟ وكيف يكون خبر الواحد حراماً وواجباً في وقت واحد؟

واذا كان خبر الواحد عندكم محتمل الصدق ومحتمل الخطأ أو الكذب فقد صار عندكم محل احتمال، وما تطرق اليه الاحتمال سقط به الاستدلال[194] فكيف يجوز الاستدلال بخبر الواحد على الأحكام الشرعية مع كونه ساقط الاستدلال عندكم؟!

فهؤلاء لم ينقذوا الأمة من مرض التجهم والفلسفة والإعتزال، وإنما قاموا فقط بتعديل طفيف على انحراف المعتزلة من غير أن يقضوا عليه. وشككوا في غالب أحاديث رسول الله ع ونسبوا الإسلاميين إلى التناقض حين زعموا أنهم يريدون تنقية السنة من روايات الظن والخرص وجعلوا الصحيح ظنياً خرصاً وهماً واجباً ديناً، وحكموا على تارك هذا الوهم والخرص في الأحكام الشرعية بأنه آثم عند الله وإذا أخذ به في العقائد فإنه آثم أيضاً عند الله!!!

وهم لا يقدرون على الإجابة على شبهات المستشرقين والقرآنيين اذا سألوهم: كيف اعتمدتم في نصف دينكم وفي مسائل الحرام والحلال على ما اعترفتم بأنه خرص ووهم؟

ولا يقدرون على الهروب من تسلط نفاة السنة القرآنيين إذ يقولون لهم: نحن أكثر استقامة منكم أنتم المراوغين الذين تحذرون الناس من الظن وفي نفس الوقت تأمرونهم به. وإنما يقدر على الجواب عن شبهاتهم والتحرر من تسلطهم من سلم من أحكام أهل الكلام المتناقضة وأثبت خبر الواحد على طريقة أحمد والشافعي.

فلم يستفد هؤلاء من هذه الوسوسة إلا التشويش والتهويل على أهل السنة. وفتح ثغرة أمام المستشرقين والطاعنين بالسنة كالقرآنيين، ومع أنهم لم يجحدوا غير أنهم عطلوا حجيته وأبطلوا الاحتجاج به في أصل الدين، وأما في فرعه وقع الشك والتساؤل: كيف أحتج وأبني أمور ديني على ما هو ظني وغير قطعي؟

فهؤلاء يبثون الشك في نفوس العامة في ثلاثة أرباع السنة لأن ثلاثة ارباعها من قبيل خبر الواحد.

وصدق ابن تيمية إذ قال « وهذا القول الباطل يجلب سوء الظن بسلفنا الصالح الذين تقبلوا هذه الأخبار وحكموا بها، واستباحوا بها الحرام، وسفكوا بها الدماء، وتصرفوا بها في سائر الأحكام، حيث اعتمدوا أدلة غير متحققة الثبوت. فيتسلط من ها هنا الأعداء عليهم بثلبهم وعيبهم بالتخرص والظن في الدين، ويكون هؤلاء العلماء هم الذين سلطوهم عليهم وعلى أنفسهم من حيث لا يشعرون.

فمن جعلها ظنية الثبوت أجاز أن تكون في نفس الأمر كذبا مع نسبتها الى شرع الله، وأجاز أن يكون قد دخلها التغيير والتبديل والتحويل مما كانت عليه والزيادة والنقص والنسيان والاهمال ونحو ذلك. ولا شك أن في هذا تكذيبا لله في خبره بحفظها».

---

[192] - البرهان في أصول الفقه 388/1. ط: دار الوفاء - مصر.

[193] - الدين الخالص 3: 284 الاحكام لابن حزم 121/1-122.

[194] - الاستدلال بالظني في العقيدة ص 58.

حفظ السنة من حفظ الذكر

ولقد أخطأ من ظن أن الله قد تكفل بحفظ القرآن دون السنة، فإن الله قيد للسنة من يحفظونها ويصونونها من الدس والكذب وهذا من الاعجاز الالهي. قيل لابن المبارك: هذه الأحاديث الموضوعة؟ قال: تعيش لها الجهابذة (إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون).

ويغيب عن أذهان المتكلمين ممن احتجوا بأن الراوي الواحد يجوز عليه السهو والنسيان: أن السنة وحي نزل من عند الله وكل وحي نزل من عند الله هو من الذكر الذي تكفل الله بحفظه. فالسنة من الشرع المنزل كالقرآن لقوله ε« أوتيت القرآن ومثله معه» فلها حكم الشرع من حفظ الله وحمايته لتقوم حجته على العباد، فلا بد أن تكون السنة داخلة في اسم الذكر الذي تكفل الله بحفظه. فالاعجاز الالهي يقتضي أن يكشف الله هذا السهو والنسيان. قال سفيان بن عينبة « ما ستر الله أحداً يكذب في الحديث».

كتب الجرح والتعديل خير شاهد على حفظ السنة

فأهل الحديث لهم في العلم بأحوال نبيهم وسيرته وأخباره ما ليس لغيرهم به شعور. وها هي كتب الجرح والتعديل خير شاهد على هذا الحفظ. فقد ضبط النقاد أسماء الثقات والضعفاء والوضاعين وتاريخ مولدهم وأسماء مشايخهم وتلاميذهم وبداية اختلاط كل واحد منهم الى موته، وهكذا سلط الله على رواة الحديث مخابرات اسلامية حديثية لم تدع شيئاً من حياتهم لها علاقة بمصداقية رواياتهم الا أحصتها ودونتها لنا. أفليس ذلك مصداق وعد الله بحفظ ذكره أي وحيه؟!

فإن قالوا: قد كثرت الآثار في أيدي الناس واختلطت عليهم قلنا: ما اختلطت إلا على الجاهلين بها، أما العلماء فإنهم ينتقدونها انتقاد الجهابذة الدراهم والدنانير فيميزون زيوفها ويأخذون خيارها ولئن دخل في أغمار الرواة من وسم بالغلط في الأحاديث فلا يروج ذلك على جهابذة الحديث وورثة الأنبياء[195].

أأنتم أعلم أم أنبياء الله

والله قد أمر بطاعته وطاعة رسوله ε ولم يستثن من الطاعة ما ثبتت روايته بطريق الواحد، بل اشترط لصحة الصحة، وأنتم تصفون خبر الواحد الذي في البخاري بأنه صحيح ومشكوك فيه!. بل إن أكثر أخبار السنة من أخبار الآحاد. وهذا بذاته حجة تبطل من ادعى التفريق بين العقائد والأحكام في مسألة خبر الواحد.

فهل عرف النبي هذا التفريق أم لم يعرفه؟
وإذا كان لم يعرفه فكيف عرفتموه أنتم؟
وإذا عرفه: هل بلغه أم لم يبلغه؟

---

[195] - **من كتاب الأدلة والشواهد للأخ الفاضل الشيخ سليم الهلالي.**

مسائل عقائدية ثابتة بخبر الواحد

واليكم مسائل في العقيدة وردت الينا بطريق خبر الواحد:

* نبوة آدم.
* العشرة المبشرون بالجنة.
* أفضلية نبوة نبينا محمد ε على جميع الأنبياء والمرسلين. ثبتت الأحاديث فيه عن طريق الآحاد.
* خصوصيات النبي ε مثل دخول الجنة ورؤية أهلها وما اعد للمتقين فيها. وإسلام قرينه ε من الجن.
* الايمان بأن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء.
* الايمان بسؤال منكر ونكير في القبر.
* شفاعة النبي ε العظمى في المحشر.
* شفاعة النبي ε لأهل الكبائر من أمته.
* الايمان بأن أهل الكبائر لا يخلدون في النار.
* الايمان بأن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة.
* كثير من معجزات النبي ε ما عدا معجزة القرآن.
* نزول عيسى عليه السلام.
* كثير مما ورد في صفات الجنة والنار وتفاصيل أخبار اليوم الآخر.
* حديث أن الحجر الأسود من الجنة ثبت بطريق الآحاد.
* الايمان بعذاب القبر وبضغطة القبر والميزان ذي الكفتين واللسانين والمحشر والنشر يوم القيامة مما ليس في القرآن.
* الايمان بالصراط وحوض النبي وأن من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها.
* دخول سبعين ألفاً من أمته ε الجنة بغير حساب.
* الايمان بالقضاء والقدر خيره وشره وأن الله كتب على كل انسان سعادته وشقاوته ورزقه وأجله.
* الايمان بالقلم واللوح وأن الله كتب فيه كل شيء.
* الايمان بأن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغون النبي سلام أمته

أكثر الحديث عندهم أكذبه

وحذر النبي ع من الأخذ بالظن فقال « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث» فجعل هؤلاء أكثر الحديث أكذب الحديث، لأن أكثر روايات السنة آحادية وما المتواتر فيها الا قليل جداً.

أن الله أنكر اتباع الظن مطلقا ولم يقيده بالعقيدة دون الأحكام فقال (سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا) هذا في العقيدة (ولاحرمنا من شيء) وهذا في الأحكام، (كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عِندكُم من علمٍ فتُخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظنَّ وإن أنتم إلاَّ تخرصون) الأنعام: 148.

وقد زعم المخالفون أن الآية بينت أنهم هم الذين أحلوا وحرموا وهذه مسألة عقيدة لأن أصل التحريم والتحليل مرتبط بالعقيدة. مع أن الآية تخالفهم وتبين أن المشركين زعموا أن الله حرم هذا (قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا) وانما تحريمهم ذلك أي اقامتهم عليه[196].

واذا كان التحريم والتحليل باعترافكم عقيدة فهاتوا دليلا على تحريمكم خبر الواحد في العقيدة وفرضكم للوهم والخرص في الأحكام؟

تحريم الفروج واباحة الدماء لا تجوز بالظن!!

وأخبار الآحاد هذه يجوز أن تكون أحكاماً تحلل بها الدماء والفروج أو تحرم، كتحريم المرأة على خالتها؟ فهل يجوز اعتماد الظن في مثل هذه الأمور؟ وهل يجوز أن يكون تحريم المرأة على خالتها عند قوم حلالا عند آخرين؟!

روى البيهقي عن اسحاق بن راهويه قال » دخلت على عبد الله بن طاهر فقال لي يا أبا يعقوب، تقول ان الله ينزل كل ليلة؟ فقلت أيها الأمير إن الله تعالى بعث الينا نبياً نقل الينا عنه أخبار، بها نحلل الدماء وبها نحرم، وبها نحلل الفروج وبها نحرم، وبها نبيح الأموال وبها نحرم، فإن صح ذا صح ذاك، وإن بطل ذا بطل ذاك. فأمسك الأمير»[197].

---

[196] - تفسير الطبري 57/8.
[197] - ذكره البيهقي في الأسماء والصفات 568

حجة دامغة أخرى:

ما حكم من يرفض خبر الواحد في العقائد والأحكام؟

ويقال لمن يجيز الظن في الأحكام أنا أرفض الأخذ بالظن في العقائد والأحكام لا في العقائد فقط لأن خبر الواحد يفيد الظن. فكيف تقيمون علي الحجة بل الحجة ضدكم أنكم حيث وصفتموه بأنه وهم وخرص وهو مذموم مطلقاً، فإن يك مذموماً فليكن ممنوعاً مطلقاً في سائر الدين لا بعضه.

ولهذا كان المعتزلة أقرب الى المنطق من الأشاعرة مع كونهم أبعد عن الحق منهم. فإنهم لما اعتبروا خبر الواحد ظنياً ردوه مطلقاً لأن الظن مذموم مطلقاً. وإنما تناقض من جمع بين تحريم الظن ووجوب الظن.

أن النبي ε كان يرسل الآحاد من الصحابة الى البلاد ليدعوا الى الاسلام ويبلغوا هذا الدين، وأول ما يبلغون مسائل الاعتقاد قبل أحكام الوضوء والصلاة كما قال لمعاذ إنك تأتي قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم اليه لا اله الا الله.

ولولا أن أخبارهم تفيد العلم وتقوم بها الحجة عقيدةً وأحكاماً لم يرسلهم ε لأنه لا يحصل حينئذ البلاغ. ولكان من يرفضون الأخذ بالاسلام من آحاد الصحابة معذورين لأن خبر العقائد يتطلب أن يكون المبلغون متواترين.

خطوات على طريق الاعتزال

أن منكري خبر الواحد يحتجون بأحاديث طالما كانت مدار احتجاج المعتزلة قبلهم كخبر ذي اليدين وقصة تثبت عمر من خبر الإستئذان. وقد فاتهم أن هذا الاستدلال يعني مضاهاة المعتزلة الذين ردوا خبر الواحد في العقائد والأحكام، وهذه الآثار تتعلق بالأحكام وليس في العقائد. وانما احتج المعتزلة بها في رد خبر الواحد في العقائد والأحكام.

يقولون ما لا يفقهون

أن أهل الحديث أجازوا العمل بالحديث الضعيف في حدود ضيقة كفضائل الأعمال، واشترطوا لذلك شروطاً منها: ألا يروى بصيغة الجزم وأنما بصيغة التمريض وألا يعتقد صحته.

ومنعه آخرون في كل أبواب الدين كالعقائد والأحكام. كالبخاري ومسلم، وليس ذلك إلا لعدم صحته. ولم تعلم الأمة أكثر منهما حرصا على رواية الصحيح والابتعاد عن الضعيف. والبخاري ومسلم وغيرهما منعوا رواية الضعيف ولم يمنعوا من خبر الواحد.

وأما هؤلاء فقد جعلوا حديث الواحد الصحيح أخاً للضعيف. ففي الوقت الذي يصفون فيه خبر الواحد الثقة بأنه «صحيح» إلا أنهم ينزلونه منزلة الحديث الضعيف فيقولون: صحيح لكنه وهم وخرص.

فصار خبر الواحد الذي في الصحيحين صحيحا مجازاً ضعيفا حقيقة. هكذا يقولون ما لا يعقلون. تأملهم حين يقولون:

* هو صحيح ولكن لا حجة في العقائد الا الأحاديث المقطوع بصحتها.
* هو صحيح ولكن لا نأخذ بالظني في العقائد لأن الله ذم الذين يأخذون بالظن.
* رواه البخاري وهو صحيح بإجماع أهل الحديث لكنه ظني لا يلتفت اليه في أمور العقيدة.

ولا شك أن الحديث اذا صح سنده فهو قطعي الثبوت، فمن أقر بصحة سند الحديث وزعم أنه ظني الثبوت فلا يجوز القطع بصحة عقله واستواء تفكيره. اذ كيف تجمع بين القطع بصحة الثبوت وبين قولك ظني الثبوت صحيح السند؟ هذا تناقض واضطراب ممن قدموا عقولهم المريضة بين يدي نصوص الشرع.

فإن الخبر ثلاثة أنواع :

* ما اتصل سنده وثبتت روايته. فهذا حجة ومقبول.
* ما انقطع إسناده وضعفت روايته فهذا مردود.
* ما لا أصل لسنده وعرف وضعه وكذبه فهذا تحرم روايته.

فما صح سنده فهو قطعي الثبوت سواء أكان متواتراً أو آحاداً، وعليه الاجماع كما ذكره كثيرون منهم من تقدم كالسمعاني.

هذا وسط بين: من نفوا خبر الواحد. وبين من تذبذبوا بين نفيه وإثباته من جهة, وبين من أثبتوه كله من غير نظر الى سلامته من العلل القادحة فيه. والمخالف مطالب بالدليل.

تلاعب وكذب مفتي حزب التحرير

وقد كتب عمر بكري [مفتي حزب التحرير] رسالة حول عذاب القبر وخبر الواحد، تضمنت أكاذيب كثيرة من ضمنها:

تحريفه (ص 7) كلاما للدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي وفيما يلي نصه « أن الامام أحمد نقلت عنه روايتان: إحداهما أنه يفيد العلم، والأخرى أنه لا يفيد العلم، وأن الأصحاب - أصحاب أحمد - اختلفوا على قولين تبعاً لما روي عن أحمد: فمنهم من قال: أنه يفيد العلم ومنهم من يقول انه لا يفيد العلم». علق بكري على ذلك قائلا « يقول الدكتور التركي ان خبر الواحد يفيد العلم اذا انضمت له قرائن أخرى كالاجماع».

واشتراط الاجماع تعجيز وشغب ودعوى فانه حتى الاجماع فيه كلام طويل واختلاف وما أكثر إجماعات المبتدعة المزعومة فإنها كلمة رنانة في آذن العوام ويدعي أهل البدع إجماعات كثيرة.

وهذا كذب فقد انتهى الدكتور التركي الى القول « والذي أرجحه أخيراً هو رأي جمهور الحنابلة: وهو أن خبر الواحد يفيد العلم اذا ثبت بطريق صحيح ودل الدليل على صدق قائله أي عند انضمام القرائن» انتهى. فانظر كيف أدخل بكري الاجماع كذبا واختلاقاً. ولم أعرف عن أحد منهم اشتراط الاجماع لقبول خبر الواحد.

وكتم هذا الرجل أن الدكتور التركي وافق ابن تيمية في الطعن برواية الأثرم عن أحمد أنه لا يقطع بخبر الواحد، ثم أكد أن الحق افادة خبر الواحد العلم عند أحمد وغيره قائلاً « واذا انضم لخبر الواحد ما يقويه فليس افادته العلم قول أحمد - رحمه الله وحده، بل يشاركه غيره من العلماء، وفي هذا قال ابن تيمية «وخبر الواحد المتلقي بالقبول يوجب العلم عند جمهور العلماء من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد: وهو قول أكثر أصحاب الأشعري»[198]. وفي هذا الكلام تسليم من عمر بكري بوقوع الخلاف حول قبول خبر الواحد واذا كان الخلاف واقعاً فيه صار مظنوناً.

ويمثل هذا التلاعب تعلم مدى عدم مصداقية هذا الرجل وأمانته وأنه يجب فحص النصوص التي ينقلها هذا الرجل عن الأئمة والعلماء وعدم التسليم لنقوله التي لا تخلو من تحريف وكتمان.

وفي هذا أيضاً رد عليه أيضاً حيث انتقد في رسالته (ص 22) ابن حزم واتهمه بمخالفة جماهير علماء الأمة لتصريحه افادة خبر الواحد للعلم والعمل. ولكن اذا كان ابن حزم عنده مخالفاً للجمهور من الشافعية والحنفية والمالكية في افادة خبر الواحد للعلم والعمل، فهل من يزعم أنه يحرم الأخذ بخبر الواحد في العقائد ويجب الأخذ به في الأحكام موافق للجمهور سائر على خطاهم؟ ومتى ظهرت هذه العقيدة التي لا سلف لها؟

---

[198] - أصول مذهب الامام أحمد 253-255.

تعقيبات على رسالة عمر بكري

«عذاب القبر وخبر الواحد»

وهذه الرسالة التي كتبها عمر بكري حول عذاب القبر وخبر الواحد ابتدأها بالكذب على السلف الصالح حيث زعم أنهم مختلفون في اثبات عذاب القبر فيما بينهم. وأما فيما يتعلق بخبر الواحد فقد جمع في هذه الرسالة أقوالاً متناقضة، من ذلك:

● نقل عن النووي « الذي عليه جماهير المسلمين من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من المحدثين والفقهاء وأصحاب الأصول أن خبر الواحد الثقة حجة من حجج الشرع يلزم العمل بها» فهذا الكلام طيب جدا لا سيما أن لفظ (الشرع) يطلق ويراد به عموم ما شرعه الله من عقائد وأحكام. واللفظ اذا أتى عاما يبقى عاما ولا يجوز تخصيصه بغير دليل والا كان تحريفا للكلم عن مواضعه.

ثم تضمن كلام النووي اعترافا بأن أصل هذه المقالة الفاسدة من عند المعتزلة. حيث قالوا بأنه لا يجب العمل بخبر الواحد وأن الذي منع العمل به دليل العقل.

وتضمن (ص 4) اعترافا بأنه لم تزل كتب النبي وآحاد رسله يعمل بها ويلزمهم النبي ع العمل بذلك واستمر على ذلك الخلفاء الراشدون فمن بعدهم من السلف والخلف على امتثال خبر الواحد ورجوعهم اليه في القضاء والفتيا... واحتجاجهم بذلك على من خالفهم... وقد جاء الشرع بوجوب العمل به فوجب المصير اليه».

الموقف الحقيقي من خبر الواحد

● ومن التناقضات (ص5) إقراره لسيد قطب انكار تعرض نبينا للسحر لأن الرواية جاءت من طريق خبر الواحد ولأنها تخالف أصل العصمة النبوية وتصطدم بنفي القرآن عن الرسول أنه مسحور».

● ولعله تجاهل قول النووي « وقد أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث فزعم أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها.. وهذا الذي ادعاه المبتدعة باطل» [199] ونقل عن القاضي أن كل ما حصل للنبي هو تخيل اتيان النساء وهو لا يأتيهن. وقد خيل لموسى من سحر سحرة فرعون أن عصيهم حية تسعى وهذا ليس طعناً في نبوة موسى. وهو ما نقله الحافظ ابن حجر في الفتح (226/10).

وهذا الاقرار لسيد قطب على إنكار هذه الرواية يبين حقيقة موقف هؤلاء من خبر الواحد، فهم يخافون تضليل أهل العلم لهم وحشرهم مع القرآنيين منكري السنة فلذلك اختلقوا مرتبة بين الصحيح والضعيف فقالوا: خبر الواحد نصدق به ولا نؤمن به. نأخذ به في الأحكام ولا نأخذ به في العقائد.

تناقض آخر أنه جمع جمعاً أراد به التكثير قدر الامكان وحشد أقوال العلماء ما أمكن وذلك ليظن القارىء أن الأمة مجمعة على عدم الأخذ بخبر الواحد في العقائد. غير أنه نقل (ص 6و14) عن الشوكاني ومحمد عجاج الخطيب تصريحهما بأن رد خبر الواحد في العقائد أمر مختلف فيه لم يجمعوا عليه لا سيما وأن لأحمد روايتين: إحداهما أنه يفيد العلم وهي صحيحة السند والأخرى لم تثبت صحتها وهي أنه لا يفيد العلم. واذا كان مختلفاً فيه فقد عدنا الى الظن من حيث هربنا منه.

والقول بأنه يفيد العلم هو الصحيح عن أحمد فقد اشتهر عنه القطع بأحاديث الرؤية والعلم بمدلولها ويتأيد ذلك بما اشتهر عنه من الشهادة للعشرة بالجنة مع أن الخبر فيهم آحاد، ونص في رواية أحمد بن الحسين الترمذي أنه يجزم على الخبر عن رسول الله.

فأما الرواية الثانية عنه بترك الجزم فغير صحيحة عنه وان اشتهرت عند الأصوليين وعمدتها ما حكاه الأثرم عنه أنه قال: اذا جاء الحديث باسناد صحيح فيه حكم أو فرض عملت به ودنت الله به ولا أشهد أن رسول الله ع قال ذلك».

وهذه الرواية انفرد بها الأثرم، وليست في مسائله ولا في كتاب السنة، وقد نقلها ابن تيمية من خط القاضي على ظهر المجلد الثاني من العمدة وذكر القاضي أنه نقلها من كتاب معاني الحديث للأثرم بخط أبي حفص العكبري فتحقق بذلك ضعف الرواية عنه بعدم القطع، وترجحت الرواية الأولى والحمد لله.

● تناقض آخر (ص 10) اعترافه بأن أبا حنيفة رد خبر الأمر بالمسح على الجبيرة لأن روايته جاءت من طريق خبر الواحد فلا تثبت الفرضية به لذا فان الخبر يوجب العمل ولا يوجب العلم. وهذا يعني أن أبا حنيفة لا يأخذ بخبر الواحد حتى في الأحكام. وهو بذلك يطعن بأبي حنيفة ويجعل قوله متفقا مع أقوال المعتزلة.

● احتجاجه (ص 13) بأمثلة ضربها الشيخ بدران مروية عن السلف مثل أن أبا بكر أنكر حديثا آحاديا حتى يشهد اثنان أنهما سمعاه وكذلك انكار عمر رواية في حديث الاستئذان حتى يشهد اثنان فأكثر بأنهما سمعاه وكذلك عدم عمل عائشة رضي الله عنها بحديث «اذا استيقظ أحدكم من نومه» لأنها لا

---

[199] - شرح مسلم 425/14 حديث رقم 2189.

تحتج بحديث آحادي. وهو بهذا القول يصير مطابقا لعقيدة المعتزلة لأن المعتزلة يردون خبر الواحد في العقيدة والأحكام. وهذا ما يجعلني أؤكد بأن هذا الرجل يجمع من غير وعي ولا فقه.

واذا ثبت تثبت الصحابة من خبر الواحد في الأحكام كقصة الاستئذان المروي عن عمر وأبي موسى الأشعري وعدم قبول أبي بكر ميراث الجدة من المغيرة بن شعبة حتى يشهد معه محمد بن مسلمة. ولم يثبت عن أحد منهم طلب التواتر في العقائد كان الأمر حجة عليكم. ولزمكم أن تردوا خبر الواحد في الأحكام وتأخذوا به في العقائد لأنه الثابت المروي عن السلف بالأسانيد الصحيحة.

أمر آخر: وهو أن أبا بكر طلب شاهداً آخر ولم يشترط تواتر الرواية أو الزيادة عليهما، وهذا يجعل الرواة اثنين، ورواية الاثنين عندكم لا يزال الخبر بها واحداً : لا تصير به الرواية قطعية. فقد اشترط بعضكم أن يكون الرواة سبعة فما فوق وبعضكم عشرين وبعضكم أربعين راوٍ حتى تصير الرواية متواترة وتصبح مقطوعاً بها. فهذه الروايات تثبت مخالفتكم لعمل الصحابة.

● وزعم (ص 15) أن ارسال النبي ε آحاد الصحابة انما كان « لتبليغ الرسالة الى الملوك انما كان لتبليغ الرسالة، والتبليغ من الأحكام الشرعية». وهذا كذب ولا شك، فان النبي ε كان يدعوهم لقبول التوحيد ونبذ الشرك والكفر وهذا متعلق بأصول الاسلام. ومثله: قول حزب التحرير « الرسول كان يرسل آحاد الصحابة الى المدن والدول ليبلغ رسالة الاسلام.

وهذا باعتراف حزب التحرير الذي قال « النبي ε بعث في وقت واحد اثني عشر رسولا الى اثني عشر ملكاً يدعوهم الى الاسلام، وكان كل رسول واحداً في الجهة التي أرسِلَ اليها، فلو لم يكن تبليغ الدعوة واجب الاتباع بخبر الواحد لما اكتفى الرسول ε بإرسال واحد للتبليغ، وقد انعقد إجماع الصحابة على العمل بخبر الواحد في الأحكام الشرعية» « ولما أرسل معاذ بن جبل، ولكان أرسل جماعات»[200].

والكذب واضح في العبارة الأخيرة من الفقرة حيث افترى الحزب على السلف ونسب اليهم تخصيص شيء لم يخصصوه، فزعم أنهم كانوا يأخذون بخبر الواحد في الأحكام الشرعية دون العقائد. ويبطله قول النبي لمعاذ لما أراد ارساله الى اليمن للدعوة هناك « إنك تأتي قوماً أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم اليه لا اله الا الله» فمعاذ واحد، والنبي أمره أن تكون أول دعوته في العقائد.

---

[200] - ميثاق الأمة 9 الشخصية الاسلامية 78/3.

كيف يوجه بكري كلام ابن تيمية

ومن تلبيسات عمر بكري زعمه ان ابن تيمية لا يقبل حديثا متواترا الا ما أجمعت الأمة على قبوله. وهذا كذب آخر على لسان ابن تيمية الذي حكى اجماع جمهور الأمة على قبول خبر الواحد الثقة. بل واجماعهم على قبول ما في الصحيحين حيث قال «ان مما اجمعت الأمة على صحته : أحاديث البخاري ومسلم»[201].

أما موقفه من خبر الواحد من غير الصحيحين فقال « وخبر الواحد المتلقى بالقبول يوجب العلم عند جمهور العلماء من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي واحمد وهو قول أكثر اصحاب الأشعري كالاسفراييني وابن فورك وان كان في نفسه لا يفيد الا الظن، لكن لما اقترن به اجماع اهل العلم بالحديث على تلقيه بالتصديق كان بمنزلة اجماع اهل العلم بالفقه على حكم، مستندين في ذلك الى ظاهر أو قياس أو خبر واحد فإن ذلك الحكم يصير قطعيا عند الجمهور، وان كان بدون اجماع غير قطعي لأن الاجماع معصوم»[202].

قال « فلفظ المتواتر يراد به معان: اذ المقصود من المتواتر ما يفيد العلم، لكن من الناس من لا يسمي متواترا الا ما رواه عدد كثير يكون العلم حاصلا بكثرة عددهم فقط، ويقولون: إن كل عدد أفاد العلم في قضية أفاد مثل ذلك العلم في كل قضية. وهذا قول ضعيف. والصحيح ما عليه الأكثرون: أن العلم يحصل بكثرة المخبرين تارة، وقد يحصل بصفاتهم لدينهم وضبطهم، وقد يحصل بقرائن تحتف بالخبر يحصل العلم بمجموع ذلك، وقد يحصل العلم بطائفة دون طائفة»[203]. قال أيضا:

« وأما عدد ما يحصل به التواتر فمن الناس من جعل له عددا محصورا، ثم يفرق هؤلاء، فقيل: أكثر من أربعة وقيل اثنا عشر وقيل أربعون. وقيل سبعون. وقيل ثلاثمائة وثلاثة عشر. وقيل غير ذلك. وكل هذه الأقوال باطلة لتكافئها في الدعوى». أضاف:

« والصحيح الذي عليه الجمهور: أن التواتر ليس له عدد محصور، والعلم الحاصل بخبر من الأخبار يحصل في القلب ضرورة، كما يحصل الشبع عقيب الأكل والري عند الشرب.

وليس لما يشبع كل واحد ويرويه قدر معين بل قد يكون الشبع لكثرة الطعام وقد يكون لجودته كاللحم وقد يكون لاستغناء الآكل بقليله وقد يكون لاشتغال الآكل بقليله وقد يكون لاشتغال نفسه بفرح أو غضب أو حزن. كذلك العلم الحاصل عقيب الخبر تارة يكون لكثرة المخبرين وإذا كثروا فقد يفيد خبرهم العلم، وإن كانوا كفارا، وتارة يكون لِدِينهم وضبطهم، وتارة يحصل العلم بكون كل من المخبرين أخبر بمثل ما أخبر به الآخر مع العلم بأنهما لم يتواطأ، وأنه يمتنع في العادة الاتفاق في مثل ذلك... وتارة يحصل العلم بالخبر لمن عنده الفطنة والذكاء والعلم بأحوال المخبرين وبما أخبروا به ما ليس لمن ليس له مثل ذلك...».

« واذا عرف أن العلم بأخبار المخبرين له أسباب غير مجرد العدد عُلِمَ أن من قيد العلم بعدد معين وسوّى بين جميع الأخبار فقد غلط غلطا مبينا»[204] فان الرواة قد يكونون من أجلاء الأئمة الثقات، وعدول نقله الأخبار المشهورين، فيحصل اليقين بما أخبروا به وان قل عددهم، وقد تحتف بخبرهم قرائن ظاهرة فتزداد الثقة بصدقهم أو ضد ذلك».

« ولا يخفى تفاوت الناس في الفهم والادراك، فكم من عدد قليل يحصل العلم بخبرهم لما اقترن به من عدالتهم ودينهم واطمئنان النفس الى ما نقلوه ولما اشتهر من علمهم وتثبتهم، مع أن مثلهم أو أكثر منهم لا يحصل العلم بخبرهم لفقد تلك الصفات التي اقترنت بخبر الأولين».

فهذا الكلام من شيخ الاسلام يدل على أن افادة الخبر للعلم أمر نسبي وليس بالضرورة منوطا بعدد الرواة، ويجب التسليم في معرفة تواتر الأخبار لعلماء الحديث كما يجب التسليم في معرفة الأحكام المجمع عليها لأن أهل الاجماع هم العلماء.

قال « التواتر ينقسم الى عام وخاص، فأهل العلم بالحديث والفقه قد تواتر عندهم من السنة ما لم يتواتر عند العامة كسجود السهو ووجوب الشفعة وحمل العاقلة العقل ورجم الزاني المحصن.

واذا كان الخبر قد تواتر عند قوم دون قوم فقد يحصل العلم بصدقه لقوم دون قوم. فالله عصم هذه الأمة أن تجتمع على ضلالة. فكما أن من لا يعرف أدلة الأحكام لا يعتد بقوله فمن لا يعرف طرق العلم بصحة الحديث لا يعتد بقوله بل على كل من ليس بعالم أن يتبع إجماع أهل العلم»[205].

وهذا الذي قاله ابن تيمية هو عين ما قاله السبكي فيما حكاه المرتضى الزبيدي في (شرح الاحياء 174/7) أنه « رب متواتر عند قوم غير متواتر عند آخرين» قال الزبيدي « وتبعه العلماء على ذلك».

وقال ابن القيم «ومن هذا اخبار الصحابة بعضهم بعضا فانهم كانوا يجزمون بما يحدث به أحدهم عن رسول الله ولم يقل أحد منهم لمن حدثه عن رسول الله: خبرك خبر واحد لا يفيد العلم حتى يتواتر»[206].

---

[201] - مجموع الفتاوى 18 : 16

[202] - مجموع الفتاوى 48/18 و70 .

[203] - مجموع الفتاوى 48/18

[204] - مجموع الفتاوى 50/18

[205] - مجموع الفتاوى 51/18.

[206] - الصواعق المرسلة 361/1.

أقوال أخرى لعامة الأئمة في خبر الواحد

ونختم هذا الفصل بأقوال جملة من الأئمة وأهل العلم حول خبر الواحد[207].

● قال الخطيب في (الكفاية ص31) « وعلى العمل بخبر الواحد كان كافة التابعين ومن بعدهم من الفقهاء الخالفين في سائر أمصار المسلمين إلى وقتنا هذا، ولم يبلغنا عن أحد منهم إنكار لذلك ولا اعتراض عليه».

● الإمام مالك: قال ابن عبد البر في (التمهيد 1/7-8) « وقال قوم كثير من أهل الأثر ... أنه يوجب العلم الظاهر والعمل جميعاً، منهم الحسين الكرابيسي وغيره، وذكر ابن خويزمنداد أن هذا القول يخرج على مذهب مالك».

● الإمام الشافعي: وأتى الشافعي في (الرسالة ص401-458) تحت عنوان : الحجة في تثبيت خبر الواحد بأدلة كثيرة تثبت حجية خبر الواحد والرد على من طعنوا في حجيته، ومعلوم أن أهل الكلام الجهمية في عصره أرادوا من إنكار حجية خبر الواحد رد أحاديث تتعلق بالصفات الإلهية، وقد جرى على أصولهم كثيرون ممن ينتمون اليوم الى السنة. وليس جائزاً أن ينسب للشافعي رحمه الله قولاً ما لم يصرح به. إذ أن أدلة الشافعي عامة فيجب حمل كلامه على العموم.

ومما يؤكد حجية خبر الواحد الثقة بعموم الدين: أنه ذكر في الرسالة (ص 242) قصة سعيد بن جبير في تكذيب ابن عباس لنوف البكالي « أخبرنا سفيان عن عمرو عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: أن نوفاً البكالي يزعم ان موسى صاحب الخضر ليس موسى بني إسرائيل فقال ابن عباس: كذب عدو الله أخبرني أبي بن كعب قال: خطبنا رسول الله ε [أخرجه الشيخان وغيرهما مطولاً] ثم ذكر حديث موسى والخضر شيء يدل على أن موسى صاحب الخضر...».

ثم قال الشافعي « فابن عباس مع فقهه وورعه يثبت خبر أبي بن كعب عن رسول الله ε حتى يكذب به امرءاً من المسلمين إذ حدثه أبي بن كعب عن رسول الله ε بما فيه دلالة على أن موسى بني إسرائيل صاحب الخضر».

وهذا القول من الإمام الشافعي دليل على أنه لا يرى التفريق بين العقيدة والعمل في الاحتجاج بخبر الآحاد لأن كون موسى عليه السلام هو صاحب الخضر هي مسألة علمية وليست حكماً عملياً كما هو بَيِّن».

● الإمام أحمد: وورد عن الإمام أحمد روايتان في شأن خبر الواحد:

الرواية الأولى: رواية أبي بكر الأثرم طعن فيها ابن القيم قائلا « وأما رواية الأثرم عن أحمد أنه لا يشهد على رسول الله ε بالخبر ويعمل به فهذه رواية انفرد بها الأثرم وليست في مسائله ولا في كتاب السنة وإنما حكاها القاضي أنه وجدها في كتاب معاني الحديث، والأثرم لم يذكر أنه سمع ذلك منه بل لعله

---

[207] - هذا الفصل مستفاد من كتاب الأدلة والشواهد للشيخ سليم الهلالي حفظه الله.

بلغه من عند واهم وهم عليه وفي لفظه فلم يرو عنه أحد من أصحابه ذلك بل المروي الصحيح أنه جزم على الشهادة للعشرة بالجنة والخبر في ذلك خبر واحد»[208].

الرواية الثانية: عن المروذي قال « قلت لأبي عبد الله ها هنا إنسان يقول أن الخبر يوجب عملاً ولا يوجب علماً فعابه وقال ما أدري ما هذا». وهذه الرواية فيها تصريح أن المروزي سمعها من أحمد بن حنبل وتلقاها علماء المذهب بالقبول وبعضهم أولها والتأويل فرع القبول.

وجدير بالذكر أن كتاب "الرد على الجهمية والزنادقة" للامام أحمد مشحون بالاحتجاج بأحاديث الآحاد في العقائد. وقد أقر الحافظ ابن حجر بنسبة الكتاب الى أحمد كما في الفتح (493/13).

● الامام ابن حزم: قال « قال أبو سليمان والحسين بن علي الكرابيسي والحارث بن أسد المحاسبي وغيرهم: أن خبر الواحد العدل عن مثله إلى رسول الله ع يوجب العلم والعمل معاً، وبهذا نقول» وأطال في الانتصار لقوله حتى قال « وإذا صح هذا فقد ثبت يقيناً أن خبر العدل عن مثله مبلغاً إلى رسول الله ع حق مقطوع به موجب للعمل والعلم معاً»[209]. وقد جزم الشيخ أحمد شاكر به فقال « والذي ترجحه الأدلة الصحيحة ما ذهب إليه ابن حزم ومن قال بقوله من أن الحديث الصحيح يفيد العلم القطعي سواء أكان في الصحيحين أم في غيرهما» (الباعث الحثيث 37).

● ابن تيمية: قال « ومن الحديث الصحيح ما تلقاه المسلمون بالقبول فعملوا به، فهذا يفيد العلم ويجزم بأنه صدق. ومن الصحيح ما تلقاه بالقبول والتصديق أهل العلم بالحديث كجمهور أحاديث البخاري ومسلم فإن جميع أهل العلم بالحديث يجزمون بصحة أحاديث الكتابين... فإجماع أهل العلم بالحديث على أن هذا الخبر صدق كإجماع الفقهاء على أن هذا الفعل حلال أو حرام أو واجب وإذا أجمع أهل العلم على شيء فسائر الأمة تبع لهم فإجماعهم معصوم لا يجوز أن يجتمعوا على خطأ»[210].

● السفاريني: قال «ويُعمل بخبر الواحد في أصول الدين» (لوامع الأنوار البهية 19/1).

● الحافظ ابن حجر العسقلاني: قال « وقد يقع فيها [أي في أنواع خبر الواحد من مشهور وعزيز وغريب] ما يفيد العلم النظري بالقرائن على المختار خلافاً لمن أبى ذلك» (نزهة النظر شرح نخبة الفكر"ص26-27).

● الحافظ ابن عبد البر: قال « الذي نقول به: أنه يوجب العمل دون العلم كشهادة الشاهدين والأربعة سواء، وعلى ذلك أكثر أهل الفقه والأثر وكلهم يدين بخبر الواحد العدل في الاعتقادات ويعادي ويوالي عليها ويجعلها شرعاً وديناً في معتقده على ذلك جماعة أهل السنة»[211].

فمع أنه رجح أنه يفيد العمل دون العلم حكى الاجماع على الأخذ بخبر الواحد العدل في الاعتقادات. ونحن نتفق معه في أنه لا يفيد العلم ولكن ليس باضطراد فإنه يفيد العلم باحتفاف القرائن كما رجحه كثير من أهل العلم كالحافظ ابن حجر في النكت (371/1-374) وشرح نخبة الفكر (ص 9) وهو قول الكرابيسي ومالك فيما رواه عنه ابن خويز منداد.

وقال في جامع بيان العلم (96/2) « ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصاً في كتاب الله أو صح عن رسول الله ع أو أجمعت الأمة عليه وما جاء من أخبار الآحاد في ذلك كله أو نحوه يسلم له ولا يناظر فيه» انتهى.

---

208 - مختصر الصواعق المرسلة (370/2).

209 - الأحكام119/1-124

210 - مجموع الفتاوى 16/18-17.

211 - التمهيد 8/1.

موقف التحريريين من عذاب القبر

وزعم عمر بكري فستق (مفتي حزب التحرير) أن عذاب القبر من المسائل الخلافية بين علماء السلف[212].

وهذا كذب، فان السلف لم يختلفوا في ثبيت عذاب القبر، وما عرف التشكيك في أخبار عذاب القبر الا عن المعتزلة ومن سلك مسلكهم.

ذكر الحافظ أن الخلاف حول عذاب القبر وهل هو بالروح أم بالجسد « فيه خلاف شهير عند المتكلمين »[213] ولم يقل عند السلف.

وقال الشيخ ملا علي قاري شارح الفقه الأكبر لأبي حنيفة « وفي المسألة خلاف بين المعتزلة وبعض الرافضة»[214].

وما ورد في كتب التفسير من الاختلاف انما هو في دلالة بعض الآيات على عذاب القبر كقوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) (النار يعرضون عليها غدوا وعشياً) فلا يلتبس هذا الأمر على النجيب.

ونحن نطالبه أن يأتي بمخالف واحد من السلف طعن في عذاب القبر أو قال إنه لا يجوز الايمان به.

قال عمر بكري « أنا أحثكم على التصديق بعذاب القبر وبمجيء المهدي ولكن من آمن بذلك فهو آثم». وهذا سخرية وتلاعب بدين الله، كيف يكون المؤمن بعذاب القبر مأجوراً مأزوراً في نفس المسألة!

ان هؤلاء اذا أمسكوا بالخلافة فلن يحكموا الشريعة لأنهم يراوغون ويخادعون لإثبات ما ورثوه من منهج الحزب فالاسلام الذي سيحكمونه سيكون مقتصرا على ما رآه حزبهم فقط. فكيف ينصرهم الله على من لا يحكمون الشريعة الاسلامية. بل أخشى أن يكون فقدان الخلافة لعدم كفاءة من يدعون الآخرين اليها.

---

212 - مسألة في عذاب القبر وسؤال القبر 1.

213 - فتح الباري 182/3.

214 - شرح الفقه الأكبر ص 83.

أقوال أهل العلم في عذاب القبر

- قال الامام أحمد في العقيدة التي رواها عنه أبو الفضل التميمي « وأن الله يعذب قوماً في قبورهم» [215]
- وقال أبو حنيفة في الفقه الأكبر « وسؤال منكر ونكير في القبر حق، وضغطة القبر حق وعذابه حق كائن لكل الكفار ولبعض المسلمين»[216].

وهذا الكلام من أبي حنيفة وغيره مندرج في سياق ما يجب على المؤمن الايمان به، فهي عقيدة ثابتة عنده.

وقد علق الشيخ ملا علي قاري الحنفي على كلام أبي حنيفة قائلا: « أي واقع, وإخباره ε بعذابه صدق، ففي الصحيحين: «عذاب القبر حق»، ومر ε على قبرين فقال «إنهما ليعذبان» وقد نزل فيه قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) أي في القبر كما في الصحيحين وغيرهما».

وقال « وفي جواهر الفقه: من أنكر الأهوال عند النزع والقبر والقيامة والميزان والصراط والجنة والنار كفر»[217]. هذا مع أن عذاب القبر مبني عندكم على جملة من أخبار الواحد.

---

[215] - طبقات الحنابلة 303/2.

[216] - الفقه الأكبر 81-82.

[217] - الفقه الأكبر 139.

أقوال الماتريدية في عذاب القبر

* قال الحكيم السمرقندي « من أنكر عذاب القبر فانه ضال مبتدع» واحتج بقوله تعالى (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) [غافر46] »[218].

* قال الامام النسفي « وعذاب القبر للكافرين ولبعض عصاة المؤمنين، وتنعيم أهل الطاعة في القبر بما يعلمه الله ويريده، وسؤال منكر ونكير ثابت بالدلائل السمعية قال تعالى(النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) [219]».

* وقال الناصري « وقد تواترت الأخبار عن النبي ε في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلا، وهو مذهب أهل السنة والجماعة (يعني الماتريدية) فيجب الاعتقاد بثبوت ذلك » [220].

وقال البيهقي « والاخبار في عذاب القبر كثيرة وقد أفردنا لها كتابا مشتملا على ما ورد فيها من الكتاب والسنة والآثار، وقد استعاذ منه رسول الله وأمر أمته بالاستعاذة منه... وجاءت به السنن وظهرت على ألسنة العلماء وأتباعهم من بلاد المسلمين»[221].

وقد أخرج البيهقي في كتاب «إثبات عذاب القبر» هذا أحاديث تسعة وثلاثين صحابياً. وأما ما في سنن حزب التحرير وما يظهر على ألسنة أعضائه فهو التحذير من الايمان بعذاب القبر. وللقرطبي رسالة بعنوان « التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة» أثبت فيها عذاب القبر.

* وقال عبد القاهر البغدادي الأشعري « أجمع المسلمون على أن عذاب القبر حق وأن من أنكر عذاب القبر يعذب في قبره وذلك لأنه يكون شاذا عن جماعة المسلمين ومن شذ شذ في النار».

* وقال «وأثبتوا الحشر من القبور مع اثبات السؤال في القبر»[222].

وهذا يبطل ادعاء بكري أن السلف اختلفوا في عذاب القبر.

واجماع الأمة هدى لقول النبي ε « لا تجتمع أمتي على ضلالة» مع أن تقي الدين النبهاني يزعم أنه لا يستحيل عقلا أن يجمع الصحابة كلهم على خطأ يظنونه حقا» [223]مع أنه لا يجوزه شرعا، وهذا تناقض.

إذن يمكن أيضا لحزب التحرير أن يكون مجمعا على ضلالة يظنها هدى. أيجوز عقلا أن يجمع الصحابة على ضلالة ولا يجوز مثل ذلك للنبهاني وحزبه؟

واذا كان يستحيل أن تجتمع الأمة على ضلالة فمخالف ما أجمعوا عليه ضال بعد العلم والاصرار: هو ضال مضل قال تعالى (ومن يشاقق

الرسول من بعدما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا).

فأهل العلم لم يختلفوا في اثبات عذاب القبر اللهم الا الجهمية والمعتزلة وهؤلاء ليسوا من سلفنا وانما سلفهم. وانما وقع اختلاف في دلالة الأيات على عذاب القبر. فأوهم بكري الناس بأنه اختلاف على اثباته أصلا. فتنبه لهذا المكر والتلبيس.

---

[218] - **سلام الأحكم : ص 67.**
[219] - **شرح العقائد النسفية ص 126 العقائد العضدية 2 :273.**
[220] - **النور اللامع 110.**
[221] - **الاعتقاد والهداية الى سبيل الرشاد 224.**
[222] - **الفرق بين الفرق 301.**
[223] - **الشخصية الاسلامية 297/3.**

أخبار عذاب القبر متواترة

* قال الحافظ ابن رجب « وقد تواترت الأحاديث عن النبي ε في القبر والتعوذ منه » [224].

* وقال الكتاني في (نظم المتناثر ص 84) « وقد روى عذاب القبر اثنان وثلاثون صحابياً».

* وقال الجويني « وقد تواترت الأخبار باستعاذة رسول الله بربه من عذاب القبر» واحتج بقوله تعالى (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) قال « وهذا نص في إثبات عذاب القبر». وقال القول ذاته في أخبار الميزان وصفته[225].

* وجعل عبد القاهر البغدادي أحاديث عذاب القبر من الأحاديث المتواترة من أنواع المستفيض الذي رواه أول الأمر رواة ثقات ثم انتشر بعدهم رواته في الأعصار حتى بلغوا حد التواتر»[226].

* وللسيوطي رسالة بعنوان « شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور» ذكر فيها أحاديث متواترة في عذاب القبر.

* وقال القرطبي « الايمان بعذاب القبر وفتنته واجب، والتصديق به لازم حسبما أخبر به الصادق. وهذا مذهب أهل السنة والذي عليه أهل الملة » [227].

أضاف « وأنكرت « الملاحدة» ومن تمذهب بمذهب الفلاسفة عذاب القبر وأنه ليس له حقيقة » [228].

* وقال « صحت الأخبار عن النبي ε في عذاب القبر فلا مطعن فيها ولا معارض لها » [229].

ونقل القرطبي ما ذكره الحافظ ابن عبد البر في التمهيد عن ابن عباس عن عمر رضي الله عنه أنه قال « سيكون أقوام من هذه الأمة يكذبون ... بعذاب القبر » [230].

---

[224] - من أهوال القبور 43 و50 و58.

[225] - الارشاد للجويني 374-375.

[226] - أصول الدين 13.

[227] - التذكرة في احوال الموتى وأمور الآخرة 137.

[228] - التذكرة 139.

[229] - التذكرة 166.

[230] - التذكرة 147 أخرجه أحمد 23/1 وعبد الرزاق في المصنف 6751 و20860 والبيهقي في البعث والنشور ص129، والآجري في الشريعة ص 329 و330 من طريق علي ابن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال: « قام فينا عمر بن الخطاب أمير المؤمنين» وذكره.

تلاعب عمر بكري بالسنة

وقد أخذ عمر بكري يتلاعب بنصوص السنة قائلا « فقوله ε « هذان يعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستبرىء من بوله، وأما الثاني فكان يمشي بالنميمة» قال: هذا الحديث يدل على الترغيب في الاستبراء والترهيب من النميمة»[231]. هكذا انتهى.

ولم يقل هذا الحديث يدل على وقوع عذاب القبر فنعوذ بالله من اتباع الهوى. ومثل هذا الضلال والمكر بالعوام العجم والدخول عليهم من باب المذهب الحنفي لا يقرب الخلافة التي ينشدونها بل يزيدها بعداً. بل ربما كان هذا التلاعب هو السبب في عدم التمكين من الخلافة.

---

[231] - **مسألة في عذاب القبر وسؤال القبر 10.**

سلفهم المعتزلة في إنكار عذاب القبر

وقد أنكرت المعتزلة [232] عذاب القبر فقال زعيمهم القاضي عبد الجبار « وأنكر مشايخنا عذاب القبر ونعيمه في كل حال» [233].

وخالفهم جمهور أهل السنة بدءاً من الطحاوي الذي قال « ونؤمن بعذاب القبر [234] ونعيمه لمن كان لذلك أهلا، وبسؤال منكر ونكير للميت في قبره عن ربه ودينه ونبيه على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ε وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين. والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار» [235].

قال الايجي إمام علم الكلام «ولا يعرف خلاف ذلك الا ما يروى عن ضرار بن عمرو وبشر المريسي فقد أنكرا عذاب القبر».

وقال أبو الحسن الأشعري « وأنكرت المعتزلة عذاب القبر. وقد روي عن النبي ε من وجوه كثيرة وروي عن أصحابه رضي الله عنهم وما روي عن أحد منهم أنه نفاه وجحده « فوجب » أن يكون إجماعا » [236].

الأشعري يحكي الاجماع على الايمان بعذاب القبر

قال في رسالته الى أهل الثغر « وأجمعوا على أن عذاب القبر حق وأن الناس يسئلون في قبورهم بعد أن يحيوا فيها فيثبت الله من أحب» [237]. وهذا يحكيه الأشعري من جملة ما يجب على المؤمن الايمان به ويعتقده.

قال الغزالي في الاحياء « وألزم الخلقَ تصديقه في جميع ما أخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة وأنه لا يقبل ايمان عبد حتى يؤمن بما أخبر به بعد الموت وأوله سؤال منكر ونكير.. وسؤالهما أول فتنة بعد الموت، وأن يؤمن بعذاب القبر وأنه حق وحكمة وعدل».

وعلق المرتضى الزبيدي الحنفي الزبيدي شارح الإحياء « يجب اعتقاد أن السؤال في القبر حق. بعد تمام الدفن» [238].

وعلق على قول الغزالي «عذاب القبر قد ورد الشرع به» قائلا « قرآن وسنة وأجمع عليه علماء الأمة قبل ظهور البدع (فيجب التصديق به) لأن الشرع شهد به (ولا نمنع من التصديق به) والايمان بثبوته».

فهذا الزبيدي يحكي الاجماع على التصديق والايمان به وليس التصديق من غير إيمان كما زعم بكري.

---

[232] - وهم أتباع واصل بن عطاء وهم فرقة ضالة باتفاق المسلمين ومن عقائدهم تقديم العقل على الشرع وانكار خبر الآحاد وتأويل اسماء الله الحسنى وانكار القدر فهم أصل هذا الشر الذي نرى اليوم من يقتبس منهم مع اعترافه بضلالتهم.

[233] - شرح الاصول الخمسة 733 كتاب فضل الاعتزال 202 .

[234] - لاحظ قوله «نؤمن» ولم يقل نصدق بلا ايمان كما يزعم بكري.

[235] - العقيدة الطحاوية ص 25.

[236] - الابانة عن أصول الديانة 181 تحقيق الأرناؤوط.

[237] - رسالة الى أهل الثغر ص 88 - 89 ط: دار اللواء.

[238] - اتحاف السادة المتقين شرح الاحياء 2/26-27 وانظر 2/ 218.

شـهــادة أشـعــريـــة

أن انكار عذاب القبر عقيدة خوارج معتزلية

قال الاشعري «واختلفوا في منكر ونكير هل يأتيان الانسان في قبره فأنكر ذلك كثير من أهل الأهواء وثبته أهل الاستقامة[239] قال « والخوارج لا يقولون بعذاب القبر ولا ترى أن أحدا يعذب في قبره»[240] وذكر ابن حزم أن إنكار عذاب القبر هو قول من لقي من الخوارج[241].

فالامام ابو الحسن الاشعري وهو الإمام الواجب الاتباع عند هؤلاء شهد بأن المعتزلة والخوارج أنكروا عذاب القبر [242].

وقد شرع الأشعري يحكي جملة من اعتقادات أهل الحديث والسنة. ومنها « ويقرون بعذاب القبر» [243].

وذكر الامام الاسفراييني جملة من الأدلة على عقيدة أهل السنة في عذاب القبر وانتهى الى أنه لا ينكر عذاب القبر واحياء الموتى فيه الا من ينكر قدرة الله [244]. قال « أنكرت ذلك [سؤال الملكين] الجهمية وأنكرت أكثر الضرارية. وزعم بعض القدرية أن سؤال الملكين في القبر انما يكون بين النفختين في الصور وحينئذ يكون عذاب قوم في القبر» كذا قال عبد القاهر البغدادي الأشعري[245].

وقال ابو سعيد النيسابوري « وأنكرت المعتزلة [عذاب القبر] وقالوا لا عذاب في القبر ولا سؤال.. وقد ورد به السمع فلا بد من اتباعه. قال تعالى (وحاق بآل فرعون سوء العذاب) وهو العذاب قبل الحشر لأن الله تعالى أخبر عما يكون يوم القيامة من حالهم (ويوم تقوم الساعة: أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) وقد تواترت الأخبار باستعاذة الرسول ε من عذاب القبر»[246] .

شهادة من الفقه الأكبر لأبي حنيفة

جاء في الفقه الأكبر « وسؤال منكر ونكير حق كائن في القبر واعادة الروح الى جسد العبد في قبره حق. وضغطة القبر وعذابه حق كائن للكفار كلهم ولبعض عصاة المؤمنين»[247]

علق الشيخ ملا علي قاري على قول أبي حنيفة « أي جسده بجميع أجزائه أو ببعضها مجتمعة أو متفرقة والواو لمجرد الجمعية، فلا ينافي أن السؤال بعد اعادة الروح وكما الحال فيقول المؤمن ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد ε ويقول الكافر هاه هاه لا أدري. رواه أبو داود وأصله في الصحيحين، وفي المسألة خلاف بين المعتزلة وبعض الرافضة. وقد وردت الأحاديث المتظاهرة واستوفاها شيخ مشايخنا الجلال السيوطي في كتابه المسمى بشرح الصدور في أحوال الموتى والقبور وفي كتابه الآخر المسمى بالبدور السافرة في أحوال الآخرة».

واذا كان العذاب حقاً كما صرح به الرسول ثم أئمة أهل العلم كأبي حنيفة فلماذا نتخذ موقفا متذبذبا فنقول: نصدق ولا نؤمن؟

اذا كنا نؤمن بعذاب القبر حقا فايماننا يكون عن علم لا عن ظن واحتمال وشك. قال تعالى (وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به) (وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق) فلماذا يتقلب هؤلاء في الاذعان للحق (يجادلونك في الحق بعدما تبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون) فماذا بعد الحق الا الضلال!.

---

239 - مقالات الاسلاميين ص 473.

240 - مقالات الاسلاميين ص 127.

241 - الفصل لابن حزم 66/4

242 - مقالات الاسلاميين 116/2 .

243 - مقالات الاسلاميين 293.

244 - التبصير في الدين لأبي بكر الاسفراييني 176 تحقيق كمال الحوت.

245 - التبصير في الدين للاسفراييني 345 أصول الدين 245 للبغدادي.

246 - الغنية في أصول الدين ص 163. ط مؤسسة الكتب الثقافية.

247 - الفقه الأكبر ص 82 بشرح ملا علي القاري رحمه الله.

يا أيها الذين آمنوا: لا تؤمنوا بعذاب القبر!

وقد زعم بكري أنه يجب التصديق بعذاب القبر ولكن لا يجوز الايمان بعذاب القبر.

وهذه كذبة أخرى فانه لم يقل احد من السلف يجب أن تصدق بعذاب القبر ولكن يحرم عليك أن تؤمن به.

وسمعته يقول في محاضرة له مسجلة عندي بصوته « أنا أحثكم على التصديق بعذاب القبر عليكم أن تستعيذوا بالله من عذاب القبر كما فعل النبي ε حين قال « استعيذوا بالله من عذاب القبر» ولكن من آمن منكم بعذاب القبر فهو آثم. أحثكم على التصديق بمجيء المهدي ولكن من آمن بالمهدي فهو آثم».

فالتصديق الذي يدعو اليه تصديق يخالطه شك وليس تصديقاً وانما تذبذب بل هو فلسفة عجيبة متهافتة متناقضة لا تروج الا على البسطاء من العجم، وقد اشتهرت بعد ذلك مقولته بينهم بالانجليزية:

WE TRUST BUT WE DO NOT BELEIVE

مقلدا بذلك المعتزلة الذين جعلوا بين الايمان والكفر مرحلة وسطا أسموها بـ (المنزلة بين المنزلتين).

وقد كذبه القرآن واللغة العربية بل وحتى اللغة الانجليزية:

* أما القرآن فيقول تعالى (وصدقت بكلمات ربها وكتبه) (والذين يصدقون بيوم الدين) فأطلق التصديق على الايمان الواجب.
* وأما اللغة العربية فالتصديق أحد معاني الايمان. لا يوجد في اللغة معنى للتصديق مستقل عن معنى الايمان.
* وحتى اللغة الانجليزية فانها لا تتفق معه: وأقرب دليل نطلعه عليه أن يقرأ المكتوب على أحد الدولارات العبارة التالية:

IN GOD WE TRUST

فالله الذي يدعونا لنؤمن لم يأمرنا أن نصدق بشيء ينهانا في نفس الوقت أن نؤمن به، لم يأمرنا أن نصدق تصديقاً من غير ايمان. هذه مهزلة بل خدعة وليست عقيدة.

بل الله يأمرنا أن نؤمن به من غير شك. فقال (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) وهؤلاء يزعمون أنهم آمنوا وهم يشكون في أكثر أحاديث السنة فان أكثرها من الآحاد وليس من المتواتر. يقولون: حرام علينا أن نؤمن بعذاب القبر، ولكن واجب علينا أن نصدق بعذاب القبر، فان آمنا فنحن آثمون وان لم نصدق فنحن آثمون؟!

ان هؤلاء يبثون الشك في القلوب بجعلهم بين الايمان والكفر مرحلة وسطا أسموها (المنزلة بين المنزلتين) وهي عقيدة اعتزالية في قالب جديد، حيث يجعلون التصديق منزلة بين منزلة الايمان بعذاب القبر وبين منزلة التكذيب بعذاب القبر. ولقد قال المعتزلة من قبل: لا نقول إن مرتكب الكبيرة كافر ولا فاسق وانما هو في منزلة بين المنزلتين.

ان هؤلاء يشككون في كتاب الله فقد سمعت العديد من التحريريين يقولون: ما من آية من كتاب الله الا وقد اختلف فيها.

ويشككون في غالب أحاديث رسول الله فيأمروننا أن لا نؤمن باكثر أحاديث البخاري ومسلم لأن أكثرها من أخبار الآحاد التي لا نستطيع القطع بصحة أسانيدها ولو كانت في البخاري ومسلم.

إن كان حقـاً وجب الايمان به!!

واعجب ممن قال: هو حق ولكني لا أؤمن به ويجعل من نفسه شهيدا على نفسه أنه لا يؤمن بما شهد أنه حق، ثم يقول أنا أصدق ولكن لا أؤمن؟! فلا يجوز لك أن تصدق ما لا تؤمن به والا كنت متناقضا. فإن ثبت أنه حق وجب الايمان به.

ومن زعم أن التصديق الاعتقادي مخالف للايمان الاعتقادي فهو جاهل متناقض يؤول قوله في نهاية المطاف الى موافقة قول المعتزلة: لا نؤمن بعذاب القبر.

وهو في الحقيقة موافق لهم غير أنه يخشى ان يُتَهم بالزندقة ففضل المراوغة وأن يقول: نصدق بعذاب القبر ولكن لا نؤمن بعذاب القبر.

وقد حددوا الفرق بين الايمان والتصديق أن الايمان تصديق جازم يورث طمأنينة القلب ولكن التصديق أقل من ذلك. وأي تصديق بمسألة اعتقادية هو جزم بوجودها.

فمن زعم أن التصديق الاعتقادي مخالف للايمان الاعتقادي أو أقل منه فهو جاهل متناقض، والا فماذا عساهم أن يقولوا لمن قال لهم: أنا لا أؤمن أنه لا اله الا الله مع أني أصدق أنه لا اله الا الله؟

ولعلهم لم يتدبروا قول ابراهيم (أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن؟ قال بلى ولكن ليطمئن قلبي). فها هو ابراهيم يقول آمنت. ولكن أريد الاطمئنان.

فهؤلاء مفسدون من حيث يظنون أنهم مصلحون (واذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا انما نحن مصلحون ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون).

عقلانية غير معقولة ! !

مقولتهم هذه لا يستسيغها عقل سليم مع أن القوم يقدمون العقل على النقل إذا عارض الدليل القرآني عقولهم كما قال النبهاني.

وهؤلاء لا يقول أحدهم: اذا تعارض قول النبهاني مع عقلي قدمت عقلي على قوله ولكنه يتجرأ على كلام ربه ويقول: اذا تعارض دليل نقلي مع عقلي قدمت عقلي.

وهم يحرمون على الناس أن يحتجوا على الكفار بالقرآن وانما يكون الاحتجاج عندهم بالعقل. يشكون ويشككون في كتاب الله فيقولون ما من آية من كتاب الله الا وقد اختلف فيها.

فهم يثقون بالعقل أكثر من ثقتهم بنصوص الكتاب والسنة وفاتهم أن العقول مختلفة فيما بينها فالفرق والملل كثيرة كل واحدة تعقل ما تعتبره الأخرى من مستحيلات العقول. فاذا اختلفت عقولنا فإلى من نتحاكم؟

فالعقل خادم للشرع وليس سيداً له. وهو تابع للشرع وليس متبوعاً، فالعقل من دون نور الله (شرعه) كمن له عينان لا يستطيع الرؤية بهما لعدم وجود النور. وشرع الله هو النور للعين والقلب.

العذاب للروح والجسد معا

وزعم أن ابن القيم يرى أن العذاب في القبر للروح دون الجسد فلما سئل عن الدليل من كتب ابن القيم قال « قاله في زاد المعاد» فلما طولب بتحديد الرقم والصفحة من الكتاب اعتذر بأن الكتاب غير موجود عنده ووعد أن يأتي به ثم بعد ذلك لم يفعل.

وأنا أذكر من كلام ابن القيم ما يكشف فريته، قال « ذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت اذا مات يكون في نعيم او عذاب وأن ذلك يحصل لروحه وجسده» [248].

وفي الفقه الأكبر « واعادة الروح الى جسد العبد في قبره حق وضغطة القبر وعذابه حق كائن للكفار كلهم ولبعض عصاة المؤمنين» [249].

وقال القرطبي في التذكرة (138)« وقد قيل ان العذاب للروح دون الجسد. وما ذكرناه لك أولا هو الأصح » وقال « الجمهور على أن هذا العرض يكون في البرزخ وهو حجة في تثبيت عذاب القبر». قال الحافظ « وذهب ابن حزم وابن هبيرة الى أن السؤال يقع على الروح فقط من غير عود الى الجسد وخالفهم الجمهور فقالوا: تعاد الروح والجسد» [250].

وقال « لم يتعرض المصنف [البخاري] في الترجمة لكون عذاب القبر يقع على الروح فقط أو عليها وعلى الجسد، وفيه خلاف شهير « عند المتكلمين » وكأنه تركه لأن الأدلة التي يرضاها ليست قاطعة في أحد الأمرين، فلم يتقلد الحكم في ذلك واكتفى بإثبات وجوده، خلافا لمن نفاه مطلقا من الخوارج وبعض المعتزلة كضرار بن عمرو وبشر المريسي ومن وافقهما. وخالفهم في ذلك أكثر المعتزلة وجميع أهل السنة وغيرهم، وأكثروا من الاحتجاج له.

وذهب بعض المعتزلة كالجبائي الى أنه يقع على الكفار دون المؤمنين وبعض الأحاديث الآتية ترد عليهم أيضا. وكأن المصنف قدم ذكر الآيات لينبه على ثبوت ذكره في القرآن خلافا لمن رده وزعم أنه لم يرد ذكره الا من أخبار الآحاد».

وقال « وقد ثبتت الأحاديث بما ذهب اليه الجمهور كقوله «إنه ليسمع خفق نعالهم» وقوله «تختلف أضلاعه لضمة القبر» وقوله « يسمع صوته اذا ضربه بالمطراق» وقوله «يضرب بين أذنيه» وقوله «فيقعدانه» وكل ذلك من صفات الأجساد».

---

[248] - **كتاب الروح ص 76.**

[249] - **الفقه الأكبر ص 82 بشرح ملا علي القاري رحمه الله.**

[250] - **فتح الباري 182/3.**

لماذا يرفضون اعتقاد عذاب القبر؟

1) ان التفريق بين العقائد والأحكام أدى الى هذا التشويش والي الادعاء بأن الأخذ بخبر الواحد حرام في العقائد واجب في الأحكام، يأثم من يأخذ به في العقائد ويأثم من لا يأخذ به في الأحكام! فاعتقاد عذاب القبر واجب في الشريعة، ومعلوم أنه اذا أطلق لفظ الشريعة لا يراد به الأحكام دون العقائد وانما شرع الله كله سواء كان في العقائد أو الحلال والحرام.

وبالطبع فان حزب التحرير حين ينادي حُكّامَ المسلمين بتطبيق الشريعة الاسلامية لا يقصد من ذلك مجرد أحكام الصلاة والصيام ولا يقصدون اخراج العقيدة الاسلامية او تطبيق أحكام الشريعة دون العقيدة؟ قال تعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين). وقال رسول الله «من يرد الله

خيرا يفقهه في الدين» وأفضل أنواع التفقه في الدين هو التفقه في علم العقيدة ونجد كتابا منسوباً لأبي حنيفة بعنوان (الفقه الأكبر) أي فقه العقيدة.

2) ان كل حكم شرعي يتضمن عقيدة. فالصلاة حكم شرعي ولكن اذا كنت لا تؤمن أن الصلاة واجبة فأنت آثم وإن صليت. وان رفعت يديك ودعوت الله أن يجيرك من عذاب القبر، فلاعتقادك أنه كائن حقاً وتخاف أن يصيبك في قبرك، فإذا كنت تعتقد أنك آثم إن آمنت بعذاب القبر: أليس يصير تركه أفضل؟

شبهات حول عذاب القبر

وأما استشهاد عمر بكري فستق بقصة عائشة وفيها أن النبي ε أنكر أولا عذاب القبر وأخبر أنه خاص باليهود فقط ثم عاد وأقره فهذا لا مشكل فيه. بل هو مشكل على من ينفي اجتهاد النبي ثم يحتج باجتهاده ليبطل عذاب القبر.

قال الحافظ العسقلاني في الفتح « أما حديث عائشة في قصة اليهودية فقد وقع عند مسلم من طريق شهاب عن عروة عن عائشة قالت: دخلت علي امرأة من اليهود وهي تقول: هل شعرت أنكم تفتنون في القبور؟ قالت: فارتاع رسول الله ε وقال «إنما يفتن يهود» قالت عائشة فلبثنا ليالي ثم قال رسول الله ε « هل شعرت أنه أوحي الي أنكم تفتنون في القبور» قالت عائشة: فسمعت رسول الله يستعيذ من عذاب القبر».

قال الحافظ « وبين هاتين الروايتين مخالفة لأن في هذه أنه أنكر على اليهودية وفي الأول أنه أقرها. قال النووي تبعا للطحاوي وغيره: هما قصتان، فأنكر النبي قول اليهودية في القصة الأولى ثم أعلم بذلك ولم يُعلم عائشة فجاءت اليهودية مرة أخرى فذكرت لها ذلك، فأنكرت عليها مستندة الى الانكار الأول، فأعلمها أن الوحي نزل بإثباته».

وعند البخاري: باب التعوذ من عذاب القبر من طريق عمرة عن عائشة: أن يهودية جاءت تسألها فقالت لها أعاذك الله من عذاب القبر فسألت عائشة النبي ε «أيعذب الناس في قبورهم فقال: عائذا بالله من ذلك. ثم ركب ذات غداة مركبا، فخسفت الشمس. فذكر الحديث وفي آخره: ثم أمرهم أن يتعوذوا من عذاب القبر».

قال الحافظ « فالذي أنكره النبي ε انما هو وقوع عذاب القبر على الموحدين. ثم أعلم أن ذلك قد يقع على من يشاء الله منهم، فجزم به وحذر منه وبالغ في الاستعاذة منه، تعليما لأمته وإرشادا: فانتفى التعارض بحمد الله» [251] قال « وفي هذا كله أنه ε انما علم بحكم عذاب القبر اذ هو بالمدينة في آخر الأمر.

قال « وقد استشكل ذلك بأن الآية المتقدمة وهي {يثبت الله الذين آمنوا) مكية وكذلك الآية الأخرى (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) والجواب أن عذاب القبر انما يؤخذ من الأولى بطريق المفهوم في حق من لم يتصف بالايمان. وكذلك بالمنطوق في الأخرى في حق آل فرعون، وإن التحق بهم من كان له حكمهم من الكفار».

وذكر الحافظ جملة مما يستفاد من أحاديث القبر ثم قال «وفي أحاديث الباب من الفوائد: إثبات عذاب القبر وأنه واقع على الكفار ومن شاء الله من الموحدين» [252] .

وهذا دليل واضح على أن الحافظ ابن حجر يحتج بأحاديث الآحاد في أمور العقيدة لأنه احتج بهذه الأحاديث على عذاب القبر وقال بأن هذه الأحاديث ترد على المعتزلة.

---

[251] - فتح الباري 234/3 - 236.
[252] - فتح الباري 240/3.

فوائد كلام الحافظ ابن حجر

* أن الاختلاف على عذاب القبر فيه خلاف كبير بين المتكلمين وليس بين أهل السنة أو بين السلف كما زعم عمر بكري.
* أن الخوارج وبعض المعتزلة نفوا عذاب القبر مطلقا كضرار بن عمرو وبشر المريسي ومن وافقهما.
* أن أكثر المعتزلة خالفوهم.
* أن جميع أهل السنة خالفوهم. ولم يقل أكثر أهل السنة. مما يدل على حكايته الاجماع بين أئمة هذه الأمة. وهذا يفيد أن الاجماع حاصل بين أهل السنة على إثبات عذاب القبر.

وهذا جواب عن الشبهات التي يثيرها عمر بكري والتي رباه عليها الحزب: ومن هذه الشبهات[253]:

[253] ـ مسألة في عذاب القبر وسؤال القبر 6 و7 .

سبب شبهة انكار عذاب القبر

الشبهة الأولى: كيف تكون هاتان الآيتان نزلتا في مكة ويدعي بعض المفسرين أنها تدل على عذاب القبر؟

والجواب أن النبي ε كان يعلم ذلك ولهذا أخبر أن آية (يثبت الله الذين آمنوا) نزلت في عذاب القبر.

الشبهة الثانية: كيف لم يعلم النبي هذه المسألة وهي في العقائد؟

والجواب ان الله أخبره أن هذا شأن الله في الكفار - واليهود من الكفار - ولذلك لما سمع قول اليهودية لم ينكر عذاب القبر من الأصل وانما قال (انما يفتن يهود) والله يوحي الى نبيه ما شاء ومتى شاء.

فمن رفض هذا الجواب لزمه أن يعتقد أن ذلك كان اجتهاداً من النبي وأنتم تمنعون عنه الاجتهاد!!!

وبهذا ينتهي الاشكال الذي وصفوه بأنه تعارض خطير.

وهذا الجهل بالحديث قد يسميه هؤلاء اشكالا خطير، لكنه ليس كذلك عند من فهم الأحاديث، لقد رجعنا الى أهل العلم كالحافظ ابن حجر فوجدناه أعطى جوابا شافيا. ولا نرجع الى الموسوسين الذين ينكرون النصوص عند أول شبهة يهجم بها الشيطان عليهم أو وحي يلقيه في قلوبهم قبل أن يرجعوا الى أهل العلم.

فقد اعترف عمر بكري بنفسه أنه مقلد وليس من أهل العلم، وهذا تواضع. فليبق على تواضعه ولا يتخذ قرارات بإنكار غالب السنة بما يوحي أنه إمام من أئمة الحديث ونقاد الروايات.

<u>ولكن كيف يكون مقلداً من أخبر عن نفسه أنه مفتي الحزب وأنه تخرج من أربعة معاهد شرعية؟</u>

الشبهة الثالثة: قوله تعالى (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة) قال بكري «كيف يظن المجرمون ويقسمون أنهم لم يلبثوا غير ساعة وهم من المعذبين في قبورهم، أليس هذا يلقي شكا على الموضوع»[254].

والجواب:

« لا اشكال بعد أن أخبر أنه يؤتى بأنعم الناس من الكفار فيغمس غمسة في جهنم فيقال له: «هل رأيت نعيما قط» فيظن أنه لم ير نعيماً قط، بل يقسم على ذلك.

وقد أنسته غمسة النار كل ما أنعم الله عليه في دنياه. فكيف بمن يمكث سبعين سنة وهو يهوي في جهنم ولما يصل الى قعرها بعد، واذا كان مجرد السقوط يستغرق هذه المدة فكيف بالعذاب؟ لا شك أن فترة الدنيا كلها لا تساوي ساعة مقارنة بفترات عذاب الآخرة.

وقد نص الله على أن الكفار حين يروا العذاب يذكرون مكثهم في الدنيا كأنه كان ساعة من نهار، قال تعالى (ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار).

---

[254] - **مسألة في عذاب القبر وسؤال القبر 12.**

ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون

فمن أظلم ممن يضرب الأمثال جدلا ليضل الناس بغير علم يبث الشك في كلام الله ويضربه ببعضه: كل ذلك لتخرج مبادىء الحزب منتصرة.

لقد ثقلت على هؤلاء العبادة فأخذوا يشغلون أنفسهم بتكثير المسائل وثقل عليهم العمل فابتلاهم الله بالجدل وزعموا تزييناً لباطلهم أنهم من أكثر الناس تحسراً على ذهاب الخلافة ولو منحهم الله اياها لضيعوها كما يضيعون دين الناس ويشوشون عقائدهم.

شبهة حزب التحرير حول روايات ظهور المهدي

ويستخدم التحريريون أسلوب التشكيك بالسنة لإلزام الخصم بالطعن بخبر الواحد. وهو أسلوب رخيص سبقهم اليه المستشرقون في الطعن بالسنة. ومن ذلك قول عمر بكري « من هو المهدي الذي تتحدثون عنه؟ أهو عيسى المهدي أم الخلفاء المهديون أم المهدي محمد بن عبد الله؟

قوله (عيسى المهدي) بناه على حديث ضعيف مروي عن أنس أن النبي ع قال «لا مهدي إلا عيسى بن مريم». أخرجه ابن ماجه (4039) والحاكم441/4 وابن عبد البر في (جامع بيان العلم 155/1) من طريق محمد بن خالد الجندي عن أبان بن صالح عن الحسن عن أنس...».

وهذا إسناد ضعيف فيه ثلاث علل:

الأولى: الحسن البصري مدلس وقد عنعنه.

الثانية: جهالة محمد بن خالد المؤذن

الثالثة: الاختلاف في السند. فالحديث ضعفه كثير من أهل العلم منهم: الذهبي الذي قال في الميزان (535/3) «حديث لا مهدي إلا عيسى ابن مريم» خبر منكر».

قال ابن تيمية في منهاج السنة 211/4 « وهذا الحديث ضعيف». وقال ابن القيم الجوزية في المنار المنيف (ص145) «واحتج أصحاب هذا بحديث محمد بن خالد الجندي المتقدم وقد بينا حاله وأنه لا يصح».

ونقل السيوطي عن القرطبي ضعف إسناده وأن الأحاديث عن رسول الله ع في التنصيص على خروج المهدي من عترته من ولد فاطمة ثابتة أصح من هذا الحديث فالحكم بها دونه»[255].

وأما الخلفاء الراشدون فهم مهديون كما وصفهم رسول الله ع ولكننا نعتقد أنهم ماتوا أول الزمان ولا نعتقد مجيئهم آخر الزمان فسحقاً لمن يرتكب أعمال اليهود في لبس الحق بالباطل. وهو يرفع أمام الحكام شعار المطالبة بتطبيق الشريعة.

أحاديث المهدي بلغت درجة التواتر

وقد احتجوا بطعن ابن خلدون في حديث المهدي، وعجباً لقوم يحتجون بابن خلدون المؤرخ ويتجاهلون قول أهل الحديث ونقاد الروايات.

فقد صرح بتواتر روايات ظهور المهدي كثير من المحدثين المتقنين منهم:

نقل الحافظ ابن حجر عن أبي الحسن الآبدي في مناقب الشافعي: تواترت الأخبار بأن المهدي من هذه الأمة وأن عيسى يصلي خلفه، وأن ذلك رد على حديث لا مهدي إلا عيسى»[256].

وقال السفاريني عن أخبار المهدي أنها « من أشراط الساعة التي وردت بها الأخبار وتواترت في مضمونها الآثار»[257]. وصرح السيوطي بتواترها في رسالته (العرف الوردي ضمن الحاوي للفتاوى 57/2-87) والكتاني في (نظم المتناثر ص47)[258].

قال العلامة ابن القيم الجوزية عن أحاديث المهدي في (المنار المنيف ص149) « وهذه الأحاديث وإن كان في إسنادها بعض الضعف والغرابة فهي مما يقوي بعضها بعضاً ويشد بعضها بعضاً». وهذا رد على من اقتطعوا قطعة من كلامه واحتجوا بها.

يظنون المتواتر آحاداً

وهناك أحاديث متواترة كثيرة لم يعتقدوا ما فيها زعماً أنها أحاديث آحاد، منها:

* حديث « الأئمة من قريش» نص على تواترها الحافظ ابن حجر العسقلاني في التلخيص الحبير (43/4).
* أحاديث الحوض: وقد نص على تواترها السخاوي في (فتح المغيث 43/3) والزبيدي في لقط اللآلىء المتناثرة (ص251) وغيرهم[259].

---

[255] - **العرف الوردي 85/2 من الحاوي**
[256] - **فتح الباري 494/6.**
[257] - **لوامع الأنوار البهية" 70/2**
[258] - **وموقف الأئمة عامة من أحاديث المهدي رد على ابن خلدون الذي ضعف الرواية فيه وابن خلدون ليس من أهل فن الحديث.**
[259] - **انظر كتاب البعث والنشور للبيهقي (ص110-13)0**

فهرس الموضوعات